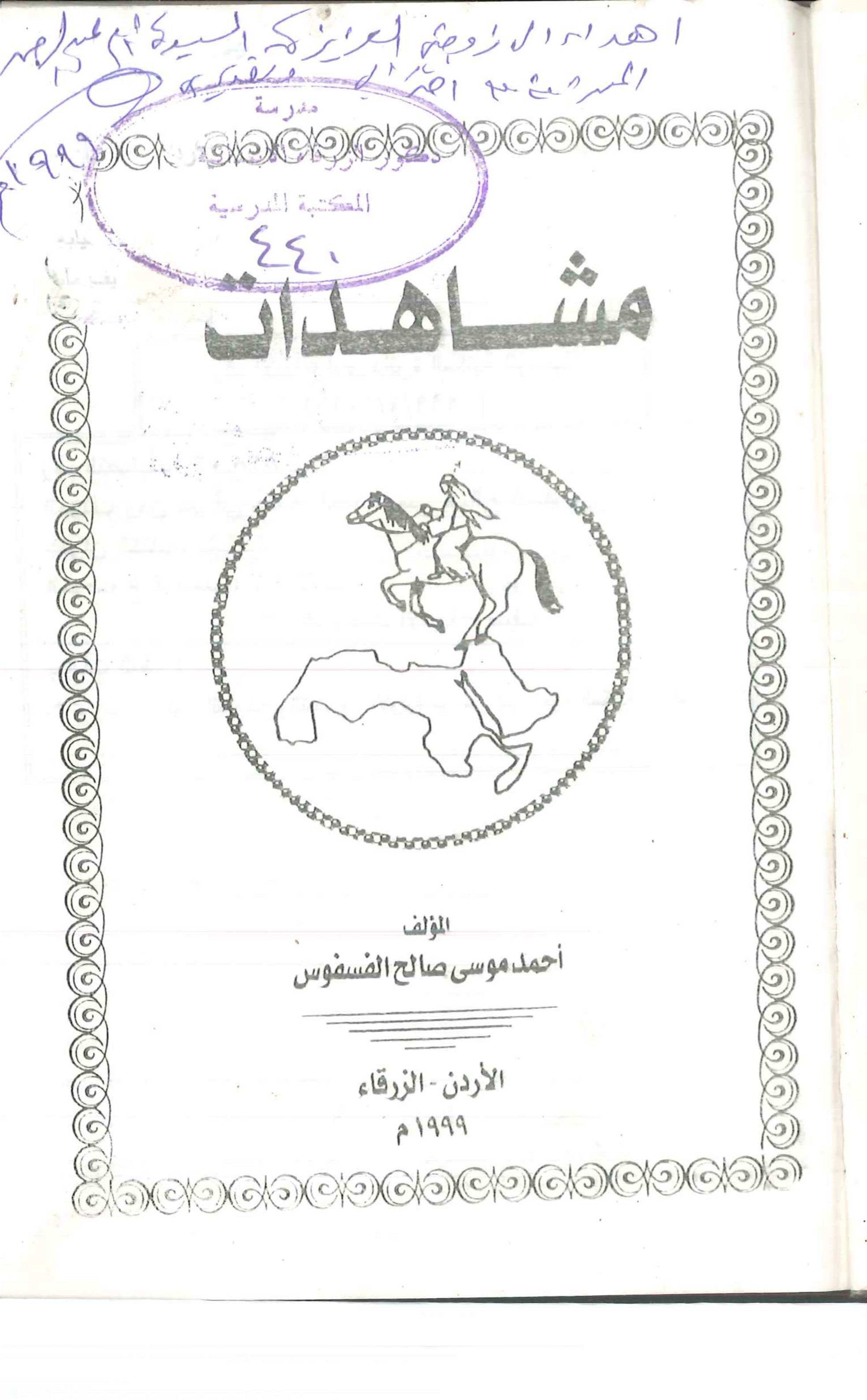
مشاهدات



المؤلف
أحمد موسى صالح الفسفوس

الأردن - الزرقاء
١٩٩٩م



مشاهدات

المؤلف
أحمد موسى صالح الفسفوس

الأردن - الزرقاء
١٩٩٩م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٠١٨/٦/١٩٩٩)

رقم التصنيف: ٨١٨,٠٣
المؤلف ومن هو في حكمه: أحمد موسى صالح الفسفوس
عنوان الكتاب: مشاهدات
الموضوع الرئيسي: ١- الادب
٢- المنوعات الأدبية-وصف
بيانات النشر:

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من من قبل دائرة المكتبة الوطنية

في رثاء الحسين العظيم

شعر عطا الله محمد أبو زياد
عضو الهيئة التأسيسية في اتحاد الأدباء والكتاب الأردنيين-عمان-

١٩٩٩/٣/٢٠

جلّ الفقيدُ!!.. فيا لهول مصابه ... غابت شموسُ السّعدِ بعد غيابهِ
ملأ القلوبَ مرارةً برحيلِه ... صوبَ الخلودِ، إلى شريفِ مآبِهِ
لا الدّمع يطفئُ حُرقتي مهما جرى ... متدفّقاً، كالغيثِ في تَساكبهِ
والشّعرُ لا يوي الفجيعة حقّها ... فبحورُهُ ضاقت عن استيعابهِ
فالرّاحلُ الغالي يظلّ خيالهُ ... في القلبِ، يُلبسُهُ سوادَ ثيابهِ
من للحكومة بعد جامع أمرها ... مثلُ (الحُسين) الفذ في أصحابهِ
قد كان ألفها وألفَ حولها ... أهلَ الحمى، من شيبه وشبابهِ
فالوحدةُ الوطنيّة الكبرى غدت ... أحلى نشيدٍ فاق في إطرابهِ
منذا يسدُ اليومَ ثغرة فقدهِ ... منذا يعزّي النفسَ بعد ذهابه؟؟
من نستنيرُ بثاقبٍ من فكرهِ ... إن عضنا صرف الزمان بنابه؟؟
ومضى إلى داعي السماء ملبياً ... كالسيف يُصلتُ من عزيز قِرابه
لم يخشَ بأساً وهو يطلبُ رفعةً ... يمحو بها العربي وسمَ عذابهِ
ما كان يرجو غيرَ نُصرةِ قومة ... أما القضاءُ فلم يكنْ بحسابهِ
فالعزّةُ القعساءُ يرقصُ طيفُها ... في قلبه، ويرف في أهدابهِ
وحديثُها قد ظلّ اغنية المُنى ... يشدو بها رمزاً لما يُعنى به
وطنٌ غلا في قلبه وأحبهُ ... فقضى شهيدَ الحق فوق ترابهِ
هي جرأةٌ في الرأي تعمرُ صدرهُ ... أما الصراحةُ، فهي دفقُ جوابه
بهما تسامى في العيون مهابةً ... فوق الذي قد حاز من ألقابهِ
لم يدخر وسعاً لرفع دعائم ... الإشراق في الأردن رغم صعابهِ
ليعمَّ نورُ الخير كل بطاحهِ - ... ويرفرفَ الإسعاد فوق هضابهِ
رجلُ البلاد، يصولُ فيها صولةَ - ... الأسد الهصور مدافعاً عن غابهِ
ملأ القلوب بفيض حبٍّ غامرٍ ... فالنّاسُ، كل الناس من أحبابه
فترى اليتامى لائذين بظله ... وترى الأرامل يعتصمن ببابه
وإذا جلا بالقول همة فكره ... ترشف الأسماعُ سحر خطابه

يرنو إلى الجندي نظـــرة عـــارف معنـــى القتـــال، فكان من أقطابه
أمـــا السياسة فهو سابر غورهـــا ومجالهـــا قد ظل من اربابـــه
والعلـــم يدعمـــه بما يسطيعـــه فهـــو المعلـــم كان في طلابـــه
قـــد ظل مشتعل الفؤاد بنهضـــة للعلـــم، تكشف عن جني لبابـــه
ولكم بـــدا إعجابـــه بمعلـــم وبطـــالب يتلـــو سطور كتابـــه
لـــم يأل جهدا في البناء، وطالمـــا غـــذي ليالي السهد من اعصابه
لـــم يبـــق في الأردن قلب لم يـــذب كمـــدا، ولم يفقد سبيل صوابـــه
ستظـــل فينـــا، فالعظيم صنيعـــه يبقى علـــى الأيام بعد غيابـــه
والجســم لو يفنى، ففكرك طاقـــة جبـــارة، هيهات ان تفنى بـــه
والصبـــر في البلوى أمارة مؤمن بقضـــاء أمر حار في أسبابـــه
والمـــرء في هذي الحياة يشـــده قـــدر، يسد عليه فرجة بابـــه
قـــد سار في طلب الحياة طويلة وخطـــى المنية من وراء طلابه
فـــي ذمة الرحمن يا بطلا مضـــى متعجـــلا عن اهله وصحابـــه
هيهـــات!! لا يأتي الزمان بمثلـــه أبـــدا، ولا يأتـــي له بمشابه
ولنـــا (بعبـــدالله) حبـــة قلبـــه خلف، يجيء العرش من أبوابـــه
يحـــذو خطاه إلى العلا، بعزيمـــة شمـــاء، حطت رحلها برحابـــه
فالخيـــر منتصر بسيف شبابـــه والشـــر مدحور على أعقابـــه
والعـــزم معقود اللوا بجبينـــه والمجـــد مقرون الخطا بركابه!!
لك في (رسول الله) أفضل أســـوة بحايتـــه ومماتـــه وحسابـــه[1]
فلتلـــق ربك في جنان نعيمـــه لتنال في الأخرى جزيل ثوابـــه

---

[1] حيث اتفق عمر جلالته رحمه الله مع عمر الرسول الكريم، فكلاهمـــا قـــد قضى نحبه عن(٦٣) عاما.

الباب الأول

الإهداء

إلى اولئك الذين وقفوا معي بالحكاية ، بالقصة، بالمعلومة ، بالكلمة الطيبـــة.
إلى من كانوا لي العون بعد الله بنصحي وارشادي وذللوا لي الصعاب وإلى الذيـن سيقفون بجانبي مستقبلا لاحياء تراث امتنا الماجدة من وزارات ومؤسسات وافـراد من أبناء أمتنا الخالدة وشعبنا الوفي الأبي . أقدم كتابي هذا (مشــاهدات) كونـي عشت التراث وعشقت ما فيه من مجتمعي الخاص والذي شكل شخصيتي بمافيـها من سلبيات وايجابيات. راجيامن الله العون والتوفيق وان ينال إعجابكم .

والله ولي التوفيق

المؤلف

أحمد موسى صالح الفسفوس

الزرقاء

١٩٩٩/١/١م

خلوي ٠٧٧٧٥٥٠٩٥٨

المقدمة

جميل ان يصف المرء أحداثا وإماكن كان لها الاثر الواضح البين في صنع شخصيته وبنائها كونه فردا من المجتمع العربي عاش في مكان ما من الوطن العربي الكبير . ولست بدعاً في ذلك فقد سبقني الكثير ممن كتبوا سيرة حياتهم كونها اصدق سجل للمؤثرات البيئية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية السائدة في فترة ما في مكان ما من الوطن العربي. وانني اذ اقدم كتابي هذا (مشاهدات) لقرائنا الاعزاء فانه لم يكن سرد لقصة حياتي في حد ذاتها بل هو وصف دقيق وتعبير صادق لحبي لكل شبر من ديار عروبتنا الواحدة وطأته قدماي وتنفست هواء الكرامة والعزة فيه .

وقد حرصت ان اصف قدر جهدي تلك المناطق وما فيها من معالم وما حصل فيها من أحداث قديمة او حديثة .

وانني لاكرر رجائي لمن بحوزته مواد تراثية او تصحيح لمؤلفاتي المتتالية ان يزودني بها مشكورا على عنواني التالي :

الزرقاء - البريد التجاري - ص.ب.٥٤٧٥. الرمز البريدي : ١٣١١١

لأضمنها مؤلفاتي التالية ولأصحح ما بها من أخطاء لم أكن قد تعمدتها، مبدياً اعتذاري لكل خطأ حصل أو قد يحصل مني معاهداً أن أصححه بإذن الله تعالى.

والله ولي التوفيق.

المؤلف

أحمد موسى صالح الفسفوس

الزرقاء: ١٩٩٩/١/١م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الأستاذ عبد الفتاح غطاشة

لقد أطلعني الأستاذ الفاضل / أحمد موسى الفسفوس/ على كتابه (مشاهدات) والذي وصف فيه أمكنة عاش فيها او مر بها واهم الأحداث التي واكبته عبرها منذ طفولته وحتى اللحظة التي توقف عندها عن كتابته لهذه المشاهدات وقد رأيت الوفاء منه لتلك البقاع الطيبة من بلادنا العربية والتي يستحق كل شبر من بواديها وحواضرها الوقوف عنده طويلاً فكم قدمت هذه البقاع للانسانية من فرسان علوا صهوات جيادهم وانتشروا في بقاع الدنيا ينشرون الهداية والعلم والحضارة والعدل، من مهبط رأسه في جبال الخليل الشماء مأخوذا بسحر الطبيعة فيها إلى رام الله حيث اكمل دراسته في دار المعلمين ومشاهداته بهذه المدينة الجميلة بطبيعتها بهوائها بتنظيمها بالمظاهر الحضارية فيها وانتقاله إلى عمان الشامخة في جبالها بلد الحضارة والتاريخ وانطلاقته في شبابه إلى العمل في (نجد) نجد الشعراء نجد البلغاء من امتنا نجد الفرسان وزيارته للحجاز حاجاً ومعتمراً مأخوذاً بنشوة التاريخ العابق منذ بدء الرسالة ذكريات جميلة إلى الوراء متأملاً الشعاب التي درج فيها رسولنا الكريم عليه أتمّ الصلاة والتسليم ومواطن صحابته الكرام رضوان الله عليهم اجمعين وكيف بدأوا الدعوة وما لاقوه من عناد قومهم حتى انتشر دينه وعلت كلمته بفضل ايمانهم واصرارهم على الحق . فكاتبنا وجها لوجه مع هذه المشاهد العظيمة وخاصة لمن يمتلك حساً مرهفاً كأستاذنا الكريم (أحمد الفسفوس) ثم انطلاقته من سوريا ولبنان إلى ليبيا وما أثارت في أحاسيسه من وجدانيات مستحضرا بني غسان وبني اميه ودولة بني حمدان وسط المشاهد التاريخية والطبيعية التي تحرك المشاعر وتهز الوجدان وبيروت والفينيقيين والبحر المتوسط الذي انتقلوا عبره ينشرون لبني البشر اصول التجارة والصناعة وفوق ذلك وقبل ذلك الحرف الذي به يدونون عواطفهم ومعاملاتهم . وليبيا بلد الصمود وبلد الصحراء العربية الواسعة وما طبعت انسانها به من القوة والشجاعة فكان منها الشهيد المجاهد (عمر المختار) رحمه الله والذي كان في خريف عمره ولا يمتلك من العتاد إلا القليل وبهذا القليل هزّ دولة إيطاليا ذات القوة والعدة والعدد. هذه هي بلادنا وهذه طبيعتها والتي حقا يستحق الملاحظة والتسجيل لكل شبر فيها ففي بواديها مدارس الفروسية ومعاني العزة والكرامة والشهامة

وحواضرها مدارس الفكر والأدب والصناعة والتجارة والعلوم . فشكرا للأستاذ أحمد الفسفوس على هذا الربط الجميل والذكريات العظيمة عن بلاد عظيمة حقا بارضها وانسانها وكم كنت أتمنى على الاخ الكريم لو اطال في وصف عادات وتقاليد هذه البلدان التي وصل اليها واقام فيها ليعطينا الصورة الكاملة عن طريق معيشتهم وعاداتهم الإجتماعية والإقتصادية والحركة الأدبية فيها ومن مشاهير كل منطقة في كل ميدان ورسماً لجغرافيتها حتى تكون الصورة اوضح في نفس القارىء وذكرى للاجيال القادمة فكم من معلم من معالمها تحول فكان بناءً أو طريقاً أو مصنعاً فريما كان يوماً ملعباً لفرسانها أو ملهما لشعرائها أو أدبائها .

وإنني أهيب بكل أخ أو أخت أوتي من العلم أن يوثق مكاناً أو أكثر من وطننا مهما صغر وأن يتناوله من جميع الجوانب التاريخية والجغرافية والعلمية والثقافية وعاداتها وتقاليدها والمشهورين منها لتكون الصورة واضحة جلية في ذهن القارىء والدارس وإن كان قد كتب الكثيرون في هذا المجال ولكنهم في غالبيتهم تناولوا الحواضر الكبيرة وحتى هذه الحواضر تخضع لقانون التطور فهي في حركة مستمرة بالصعود والعمراني والحضاري والسكاني اما بالزيادة السكانية الطبيعية أو بالهجرات اليها من الأرياف والبوادي للبحث عن العمل .

وان ما قام به الأستاذ أحمد الفسفوس لهو جهد يشكر عليه وحبذا لو أن كلَّ من لديه الرغبة وأوتي القدرة على الكتابة حذا حذوه لأصبح لدينا معلومات قيمة يرجع لها الدارسون والباحثون.

أكرر شكري وتقديري للأستاذ أحمد الفسفوس على ما بذله من جهد وما قدمه لنا من صور عن اجزاء عزيزة على كل عربي.

ونسأل الله ان يعطيه طيلة العمر والمقدرة ليكمل لنا ما بداه ويقدم لنا صوراً جديدة من هذا الوطن الغالي وله من الله السداد والتوفيق ومنا الشكر والتقدير .

عبد الفتاح عبد اللطيف غطاشة

موجه نشاط اجتماعي سابقاً

ليسانس فلسفة وعلم نفس

١٩٩٩/٢/١م

الباب الثاني

ذكريات قرية سكا / دورا الخليل

صحوت على نفسي طفلا صغيرا في أوائل الخمسينات من القرن العشرين الميلادي في قرية سكا من قرى دورا / الخليل وهي للشرق من اللويبدة (تقع إلى الغرب من دورا. وهي جبلية كنعانية ومعناها الجغرافي الحفرة في الصخر، جميلة المنظر، وإلى الشمال منها تقع بلدة الدوايمة المجاورة لقرية قبيبة بن عواد، وإلى الجنوب الشرقي منها قرية أم الشقف والأخيرتان من قرى دورا وإلى الجنوب منها قرية- خويلفة وهو بئر كبير كحد من الحدود الفاصلة ما بين ديار بئر السبع ودورا الخليل وكان جميع من يجاورها يستقي منها ويسقي حيواناته بتنظيم أدوار يتفق عليها بين حنان الأهل وخاصة أمي.حيث هاجرنا وانا طفل صغير بعد عدوان اسرائيل الغاشم ومهاجمتهما لقرى دورا الغربية المتكرر ومداهمتهم للبيوت وقتلهم لعدد كبير من سكانها وابادة حيواناتهم : ففي أحدى المعارك الغير متكافئة :(حيث الكثرة والسلاح والعتاد مع الصهاينة ومعنا الشجاعة والشهامة وقلة السلاح) فقتل في تلك المعركة اثنان وعشرون راعيا وابيد الكثير من ما شيتهم وذبح الكثير من أهالي الدوايمة كما هو معلوم .

هاجرت عشيرتنا وتفرقت في دورا وما تبقى منها وفي شرقي الأردن واستقر بنا المقام في قرية بيت مرسم ثم في قرية المجد وبعدها في قرية سكا وجميعها من قرى دورا وتقع الأخيرة غرب دورا وتبعد عنها حوالي عشرة كيلومترات وهي اول ما اتذكره الآن وهي جبلية أثرية قديمة بها مغاور ودها ليز وكروم ويقابلها مروج (مرحان القنبر) وشمالها قرية بيت عوا وشرقها سهول ام الخرّوق وجنوبها المجد وكلها من قرى دورا وهي ساحرة الجبال والسهول رائعة الجمال والمناخ وخاصة في الربيع والصيف وكنت حينذاك اخرج لرعاية البقر في جبال سكا وابي قوف للجنوب الشرقي منها وجبل أم الخروق في شرقها وهو يتصل من طرفه الشرقي بمنحدر مدحرج البيض وشماله للغرب بيت عوا ولا اكاد انسى جمال الربيع هناك فالارض متنزه طبيعي يحتوي على الازهار البرية بكثافة والطيور تصدح بمختلف أنواعها فمن نباتاتها: الشحيم والحنون والأقحوان

والعرعر والعليق وغيرها الكثير ومن طيورها: العصافير والبرارق والحماري والحمام البري والدوري والرقطي والشنار والبوم والصقور والنسور وغيرها .

دخلت الكتاتيب في قرية المجد عام ١٩٥٣م شأني في ذلك شأن أقراني في ذلك العهد. وكنا نجلس على الأرض ومدرسنا أجرته بيضة ورغيف ومقادير رمزية من النقود ويستعمل معنا الترغيب والترهيب بالتشجيع للمجد والجلد للكسول. ثم التحقت بالصف الأول الإبتدائي عام ١٩٥٤م في مدرسة سكا وهناك قرية سكا منطقة الكرك ولعل معناها مكان صك النقود وهي كنعانية . يأتي مديرها من قرية دير رازح جنوب دورا وهي من قراها على فرسه ويربطها عند المدرسة.

اكملت بها حتى منتصف الصف الرابع الإبتدائي وقد تعلمت القراءة والكتابة بطلاقة منذ الصف الأول الإبتدائي وفي ذلك العام تعلمت جدول الضرب حتى ١٢×١٢. وحفظنا عددا من قصار السور من القرآن الكريم والمقاعد التي كنا نجلس عليها مقاعد عادية بها تجاويف لوضع زجاجة الحبر السائل والبعض منا لم يكن يستعملها بل يستعمل اقلام الرصاص والتي كنا نبريها بالأمواس والسكاكين و(شفرات) الحلاقة . وكانت الصفوف صغيرة غير مكتظة طلابها من الذكور فقط آنذاك ولم تكن في قريتنا هذه عيادة صحية .

وكان المريض منا يذهب إلى قرية إذنا شمال دورا مشيا على الأقدام أو البهائم وبمرافقة الأهل.

كان والدي يعمل في الزراعة وكانت أشهر المحاصيل الزراعية التي يتعامل معها هي القمح والشعير أما الخضراوات فقليلة يزرعها على الثلث ويربي الأبقار فنأكل من سمنها وزبدتها ونشرب لبنها وحليبها وكان الناس في تلك الفترة لا يبيعون شيئا من منتجات الألبان إلا السمن فقط وما عدا ذلك فيعتبر بيعه عيبا في قيم ذلك المجتمع وكنا نربي الدجاج والحمام للاستفادة من لحمه وبيضه ونزرع البندورة والباميا ونبيع الفائض منها بعد أن نجفف كمية منها لإستعمالها في الأوقات التي لا يوجد بها هاتين المادتين. حيث كانت الخضروات والفواكه في تلك الحقبه موسمية وإذا انقضى الموسم لاتجد منها شيئا في الأسواق حيث نظام التبريد لم يكن معروفا إلا ما يستطاع تجفيفه منها مثل العنب والتين والبندورة والباميا وغيرها.

وكنا كثيرا ما نذهب ليلا بابقارنا لنرعى في سهول القنبر وفي جبل(طور صقرة داخل المناطق المحتلة إلى الغرب من المجد) حيث الربيع الخصب وعندما تشبع الأبقار نرجع خلسة كي لا يرانا اليهود فيقتلونا أو يأسرونا وكنا خلال ذلك في خوف لا ينقطع أبدا.

أما مسكننا فيبعد كيلومترا واحدا عن الحد مع العدو. نرى أرضنا السليبة في عيطون وأم الشقف وغيرها. وكنا نعيش ليل نهار على صوت اطلاق النار وحفر الآليات وأصوات السيارات المعادية اليهودية داخل الأرض المحتلة قبالتنا وكانوا يستخدمون سيارات مكشوفة المراقبة نقاط الحدود [وهي عبارة عن رجوم من الحجارة أو صبة اسمنتيه على شكل رجل قائم يدهن باللون الأبيض ويطلق عليه اسم (منطار)]. وقد شهد العام ١٩٥٦م اشتباكات لا حصر لها على طول الحدود بين الجيش الأردني الباسل والقوات الإسرائيلية وفي تلك الأيام مرضت فأخذتني امي إلى قرية إذنا وعند عودتنا وبعد أن تجاوزنا قرية بيت عوا وفي السهول التي شمال سكا، أخذ اليهود يطلقون النار في كل اتجاه وكنا نتوقع الموت في كل لحظة واخذنا نغذ السير والرصاص يحيط بنا من كل اتجاه بكثافة غزيرة للغاية ولكن كما يقولون (القاتل في السماء) والأعمار بيد الله سبحانه وتعالى. وعند وصولنا إلى قرية سكا كانت قوات العدو قد هاجمت القرية بكثافة ولكن الأضرار كانت قليلة بسبب جدران مبانيها الحجرية السمكية حيث أن الجدار يبلغ سمكه المتر. ولكن جرح بعض افراد القرية وحدثت خسائر في الحيوانات وفي ذلك العام وقع العدوان الثلاثي على مصر من قبل فرنسا وبريطانيا واسرائيل وكان الناس يتابعون الأخبار بحماس منقطع النظير . وأذكر في تلك السنة مهاجمة اليهود لمخفر قرية الرهوة غرب الظاهرية قضاء الخليل حيث دمروه وقتلوا من فيه. وكنا نشتري الفواكه مثل البرتقال والليمون بثمن قليل جدا لايتجاوز الفلسات للحبة الواحدة أما التين فنشتري ثمره للناس وورقه علفا للحيوانات وهو على الشجر بطريقة تعرف (بالتضمين) ولا تزيد الضمانة للشجرة الكبيرة عن نصف دينار وعلما بان ثمرها يكفي العائلة وتعمل منه القطين وكنا نلعب في ملعب شمال القرية (كرة القدم) وفي منتصف العام ١٩٥٦م رحلنا إلى قرية (رابود) جنوب دورا وهي قرية مرتفعة كثيرا على رأس جبل محاط بأسوار قديمة وهي كحصن عال تحيط بها المنحدرات من جميع الجوانب إلا إنها تخف من غربها وشرقها الشمالي وبها

مغاور عميقة واسعة تتشابك مع بعضها احيانا وهي جميلة ربيعا وترى منها قرى السموع ، دورا، يطا، الظاهرية، وساحل فلسطين حتى البحر وتبعد عن دورا بحوالي سبعة كيلومترات جنوبا وبالقرب منها قرية أبو العرقان وهي اخر قرى دورا حدود قرية السموع وتتصل من الغرب بخربة ربدة وهي تتكون من خرابات كثيرة ويبدو انها كانت مدينة كبيرة فيما مضى فاصابها زلزال مدمر وبها مغاور وابار قديمة واغلب الظن انهما كنعانيتان . ويدور على ألسنة العامة انهما كانتا للعماليق الذين اصابهم الله بريح صرصر والتي لاحقتهم حتى اعماق مغاورهم فأبادهم الله ليكفرهم . اما طريقتنا في نقل الماء فكانت عبارة عن روايات (قرب) مصنوعة من الجلد بشكل متوازي على ظهر الحمار من بئر يسمى (بئر العلقة) ويبعد عن مكاننا شمالاً بحوالي ثلاث كيلومترات وهو عبارة عن نبع دائم مع انه كان يغيض احيانا. وعندما ينزل المطر نستقي من الأخواص الصخرية والآبار المهجورة وهذه الأخواض كانت قديما تستعمل للزيت وقسما منها للماء على ما يبدو اما للضوء فكنا نستعمل (الضواية)وهي عبارة عن اسطوانة من الزجاج بقدر قبضة اليد يتوسطها فتيلة منقوعة بالكاز في اسفل الأسطوانة ويحيط بالفتيلة (لمبة) زجاجية فتشتعل الفتيلة وتستمر بالأشتعال حتى ينصب الكاز اما دور الزجاجة فهو توزيع الأضاءة لمساحة اكبر من ضوء الفتيلة وكان الناس يشتغلون بتربية المواشي وخاصة الأبقار ويعملون في زراعة (المقاثي) وهي مزارع تزرع فيها الخضراوات الصيفية مثل : البندورة والكوسا والخيار والفقوس والباميا وغيرها . وشتاء الجزر واللفت والبصل والبطاطا والثوم ووكانت محطتي الدراسية التالية في مدرسة بلي عام ١٩٥٣م وهي مدرسة تتبع وكالة الغوث الدولية من اراضي دورا وتبعد عن رابود للشمال بحوالي اربعة كيلومترات وسميت بلي نسبة إلى قبيلة بلي القحطانية المهاجرة من بئر السبع عام ١٩٤٨م اذ سكن قسم منها هناك وقد حصلت على شهادة السادس الأبتدائي في هذه المدرسة وكانت انذاك عن طريق امتحان وزاري عام وهي من الأهمية بمكان اذ يهنيء الناس الناجحين فيها وتقدم لهم الهدايا ويغني لهم وكذلك شهادة الثالث الأعدادي ثم الثانوية العامة وانهيت في هذه المدرسة الصف الثاني الاعدادي وهو اخر صف دراسي هناك وقد كانت مختلطة اناثا وذكورا في الصفوف الأربعة الأولى فقط ، ودرجت وكالة الغوث على صرف وجبة غذائية يومية لبعض الفقراء

في مثل هذه المدرسة وصرف كوب حليب مجاني لكل طالب واجباريا كل يوم .
وكانت المدرسة مجمعا لأبناء البدو للاجئين وكذلك لأبناء القرى المجاورة من قرى دورا. وكان فيها من المدرسين مانملك إلا الدعاء لهم بحسن الجزاء صنيع ما بذلوه لنا من جهد واخلاص وأخلاق عالية ومع وجود الأختلاف في الأنتماءات القبلية لطلابها إلا أن الألفة والمحبة سادت الجميع ووحدتهم في بوتقة واحدة من الأخوة وكنا نمشي المسافات الطوال للوصول إلى المدرسة نحمل كتبنا بأيدينا أو في حقائب متواضعة ونشتغل الدقائق والساعات في الدراسة حتى ونحن سائرون أو في ساحات الملعب وكنا نهتم بالدراسة ونستوعب ما نسمع وبعد رجوعنا إلى بيوتنا نذهب لرعاية الأبقار أو نساعد الأهل في (المقاثي) أو جمع الحشائش لأطعام الحيوانات . وبعد رجوعنا من العمل وغالبا بعد العشاء يذهب الرجال فقط إلى المضافات ليجتمعوا فيها وليتسامروا ويتذاكروا امورهم ويرووا قصص الأمجاد للآباء والأجداد وكانت المضافة عبارة عن بيت واسع يجلس فيه الرجال يتدبرون فيه امورهم الخاصة والعامة للعشيرة والقرية ويستقبلون فيها الضيوف ومنها أخذت اسمها (مضافة) ويجلس الرجال في هدوء وسكينه يزنون كل كلمة ينطقونها حتى لاتحسب ضدهم وعندما يحضر اليهم ضيف يأخذ الجميع بطلب عزومة هذا الضيف والحديث والمطالبة والحجج التي يوردها كل منهم لأخذ غداء أو عشاء الضيف يطلق عليها اسم (المغالطة) وأظن أن كلمة المضافة أخذت من الحجج التي يوردها كل وأحد ليحظى بإكرام الضيف ويحاول أن يضعف حجة الأخرين وينصب الأكبر سنا ليحكم لمن الأولويه (فيخلف) على فلان بالغذاء وعلى اخر بالعشاء وهكذا ومن العادات بعد ان يوضع الأكل ان يجلس الضيف أو الضيوف اولاً وبعده المعازيب . هذا بالنسبة للعشاء والغذاء اما الفطور فهو من ميسور الحال وخاصة جيران المضافة فيحمل كل واحد من بيته ما تيسر وياتي إلى المضافة ليفطر مع الضيف وهكذا.وهذه الطريقة مع الضيوف جميعا وان كان للمكانة الأجتماعية دور كبير في المبالغة في الإكرام .

أما المشاكل والتي تحدث كثيرا بين الناس فتحل بالطريقة التالية: عند حصول مشكلة بين طرفين أو اكثر يقومون بارسال (بدوة) كإنذار لأهل المعتدي ثم يرسلون محققين في الموضوع لمعرفة مقدار الخطأ ليعطي الحق الذي عليه وإذا

أعرضوا وهذا نادرا ما يحصل فان اصحاب الحق يقومون بالإنتقام بالمثل ثم يتدخل الناس لإنهاء الخلاف نهائيا عند تساوي الضرر.

احترام الغريب

كلمة غريب تطلق على الشخص الذي ليس من أهل البلدة وجاء اليها ليسكن فيها وليعيش مع سكانها فتجد ان هذا الغريب يحظى باحترام الجميع ويبادلونه أنبل المشاعر ويصبح واحدا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم ولهذا نجد في دورا أناسا من أماكن شتى ففيها من غزه ومصر وبئر السبع وقرى كثيرة من فلسطين ومن اليمن والشام والجميع متآلفون.

مدرسة الفوار ١٩٦٣م

الفوار من أراضي دورا وتبعد عن بلي إلى الشمال الشرقي بحوالي ٨كم وعلى هذه الأرض أنشأت وكالة الغوث مخيما للآجئين وهذه الأرض لآل عمرو من دورا يجاورها من الشرق أرض الريحية وهي تابعة ليطا الخليل ويضم هذا المخيم لاجئين من غزة وقرى الخليل الغربية كعجور وكدنا وذكرين وبيت جبرين ومن عراق المنشية والفالوجة. ويقع في منطقة جميلة بازهارها وأعشابها وجودة مناخها وفي الفوار عين جارية ونبع غزير سحب منها الماء لري القدس وبيت لحم وفي العام ١٩٦٣م نقلت إلى هذه المدرسة وحصلت فيها على شهادة الثالث الإعدادي وهي عن طريق إمتحان وزاري عام وكنا نركب من أبي العسجا (حيث رحلنا اليها من رابود)في الحافلات القادمة من الظاهرية أو السموع والمتجهة إلى الخليل حتى الفوار بأجرة قدرها أربعة قروش فقط.

في مدرسة دورا الثانوية ١٩٦٤م

إنتقلت من مدرسة الفوار إلى مدرسة دورا الثانوية وسكنت في قرية عين العرق وهي خربة جميلة جدا وكانت تسمى (خربة الثوابتة) وترى منها عدة قرى من الساحل الفلسطيني على شواطيء البحر المتوسط وترى منها ايضا قرى عدة منها إذنا ويطا والسموع وغيرها وإلى الجنوب منها على مسافة نصف كيلو متر رجما كأنه الجبل يسمى رجم (أبو هلال) ويقول الناس أن بني هلال عندما مروا غربا إلى تونس جمعوا حجارة وعملوا منها ذلك الرجم إما للذكرى وإما للمراقبة وكنت أعيش لوحدي حيث أطبخ وأغسل ملابسي وأذهب للمدرسة يوميا وهي تبعد عن المدرسة بحوالي ٤كم وكل خميس بعد انتهاء الدوام أذهب إلى أهلي في قرية

كرزة وأرجع في مساء الجمعة مرورا بالغريديس (عين ماء حولها بساتين ومقاثي جميلة جدا) فاطراف خرسا يقابلها قرية الدير وهي محاطة (بالغابات الرائعة والكروم والتين واللوز والمشمش والكرز والرمان) فاطراف قرية مريقس فالعلقة الفوقا فالتحي فكرزا وكلها تحيطها الغابات الساحرة التي تزهو باشجار ضخمة من البلوط والخروب والبطم والزعرور والعذق وألوان وأنواع من النباتات وكانت الطريق غير معبدة ومع ذلك لا أشعر بالتعب لجمال الطبيعة وإما من يريد (ركوب) السيارة بينهما إلى مثلث الفوار ففي سيارات دورا الخليل ومن المثلث يركب إلى مثلث كرزا في باصات الظاهرية -الخليل .

كانت هناك مدارس أخرى في دورا إعدادية وابتدائية للذكور والإناث للحكومة ولوكالة الغوث) أما الثانوية منها المخصصة للذكور فمبنية من الحجارة ومنسقة جيدا وهي رائعة الهندسة والبناء من الحجر الاحمر وشرفاتها مزدانة بشربات حجرية وبها حدائق جميلة تتوسطها أشجار من النخيل وتحيط بها غابات السرو والصنوبر وبين صخورها شتى أنواع الشجيرات كالنتش والزعتر البري والرومي (الزحيف) والميرامية وألوان وأصناف لا حصر لها من النباتات الطبية وأنواع عديدة من الطيور البرية والعصافير والحمام وبالقرب منها مستوصف البلدة ومقام النبي نوح عليه ومن المدرسة ترى شريطا ساحليا رائعا ومستوطنات وساحل البحر المتوسط بمياهه الزرقاء ومداخن المصانع قربه.

في قرية أبي العسجا

ثم رحلنا إلى قرية أبي العسجا وهي تقع شرقي قرية كرزا بحوالي ٣كم وهي جبلية تحتوي على مغاور عظيمة قديمة واسعة تتصل ببعضها وعندما كنا نوقد في أحداها نشاهد الدخان على بعد مئات الأمتار يخرج من مغارات اخرى وبها دهاليز موحشة وبالبلدة أشجار ضخمة من البلوط والخروب والعذق حتى أن الواحدة تغطي عشرات الأشخاص ومنها أشجار الزعرور والبطم وتمتد حتى جبال (إخلال) أبي عشرة (جمع خلة وهي مساحة يمكن زراعتها بين جبال ليست عالية) وهي أحراج كثيفة جميلة يستمر الماء بالخروج من باطن الأرض بها حتى شهر إذار وبها أعشاب وأزهار غاية في الروعة والجمال. أما الطيور فحدث ولا حرج ومن الحيوانات : الأرانب البرية والثعالب والذئاب وقليل من اضباع وكذلك الحيات وأنواع الحشرات والزواحف ومن طيورها : الشنار والبلابل والدوري

والقنابر والحماري والعليا (وتشبه القبرة) ولكن ليس على رأسها نتوء لحمي كالذي على راس القبرة.

في قرية كرزا

ثم انتقلنا إلى قرية كرزا وبها آثار ومغاور وابار عميقة وبها كروم رائعة وعينا ماء يشرب منهما الناس والحيوانات طيلة العام وكان فيها مدرسة مختلطة حتى ١٩٦٧م .

الباب الثالث

العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م

في هذا العام كنت في الثانوية العامة ، مررت على معسكرا المجنونة وهو في أرض دورا الخليل يقابل قرية الدلبة المقابلة لمخيم الفوار فإذا بجندي أردني يطلب مني الإسراع وأخذ يطلق النار على طائرات العدو وكان هناك جنود في معسكرات كرزا كذلك يطلقون النار على طائرات العدو والتي ضربت القرية في طرفها الشرقي فاختلعت الحجارة من جذورها وفتت الصخور ورأيت شظايا القنابل على بعد مئات الأمتار من جرن (بيدر) القرية وهو من الأماكن المستهدفة ورأيت وقد أصيبت منها منزل مواطن بأضرار جسيمة وجرحت ابنة صاحبه وإما طائرات العدو والتي تشبه الغربان كانت تمزقني ألما ولقد قطعت الدراسة والغيت الإمتحان حتى نرجع إلى بيوتنا .

وفي الطريق كان هناك إطلاق نار فأخذ الناس يشيعون بأنها أردنية وعراقية فاستبشر الجميع خيرا ولكن عندما وصلتنا ويا للهول ما رأينا كانت سيارات ودبابات إسرائلية غلبت كثرتها شجاعة قواتنا المدافعة وعندها لا تسل عن كبير الألم الذي لحق بالناس وأخذت هذه القوات تطلق النار لترهب الناس وقد أصيب وتوفي جراء ذلك في تلك المنطقة عدد من المواطنين فأحدث ذلك صدمة عظيمة لدي لأمزق كراسات كنت كتبتها منذ عدة سنوات كمحاولات أدبية نثرية وشعرية وقصص تمثيلية وكتابة سيرة وأحداث وتاريخ دورا منذ تغريبة الشيخ أبي دراهم من منطقة الكرك إليها وهو أب لعدة عشائر تنتشر فيها وخارجها وسافرت بعد أيام من ذلك لوحدي إلى عمان .

رحلة المغامرة من عمان - إلى كرزا

كنا نمتلك معملا للطوب في منطقة رأس العين بعمان وأثناء تواجدي في المعمل حضر أناس نعرفهم وأخبروني بأن إشاعة وصلت إلى أهلي مفادها أني قتلت أثناء عودتي إليهم إلى كرزا من عمان ، وعندها قررت العودة ولكن كيف السبيل إلى ذلك إلى أن تنامي إلى مسمعي أن أناسا من أبناء القرية سوف يعودون إلى دورا فقررت الذهاب إليهم والسفر معهم وهكذا كان حتى وصلنا إلى قرية الكريمة في الغور وهنا وقع الخلاف بيننا ضمن قائل ننزل لوحدنا أو نستعين بدليل

ولما كان لدينا بعض الأشاعات أن قطاع طرق يقتلون الناس وينهبون ما معهم من أشياء يختبئون ليلا بين الشجيرات الكثيفة هناك . كما أن هناك اشتباكات يومية بين القوات الأردنية شرق النهر وقوات العدو غربه وكانت سيارات الدورية الإسرائيلية في حركة مستمرة وخاصة بعد الظهر فبقينا في أماكننا بين أشجار الغور التي تتخللها نباتات البامية والتي كانت من الطول بحيث تخفي الرجل المتوسط القامة بينها وأخذ الجو يبرد وبشدة حتى أنني أصبت بالمغص الشديد وأخيرا وجدنا مخاضة وهي منطقة ماؤها قليل بالنسبة للمناطق الأخرى ويستطيع الأنسان أن يقطعها مشيا على الأقدام وليس سباحة وكنت أول الواصلين إلى الضفة المقابلة ومع أنني كدت أقع في الماء حيث أن الشجيرة التي أمسكت بها خلعت في يدي ولكن الله نجاني من السقوط في الماء ثم تبعني الباقون من الصحب وأخذنا نتخبط في السير لأننا لانعرف الطريق تماما وكلما راينا ضوءا جلسنا أرضا والمدخنون منا تركوا الدخان كي لايشمه العدو فيلقون القبض علينا وبعد ذلك اصبنا بما يعرف (بقلبة الرأس) فلم ندر أمشرقين نحن أم مغربيين وأخيرا استقر بنا الراي على السير في نفس الإتجاه وبقينا على هذا الحال حتى ظهور بواكير الصباح وأخذت المعالم تتضح لنا وإذا بنا بين صخور شاهقة كأن الواحدة منها جبلا، جرداء ملساء لاندري ماذا نعمل بعد أن هدنا الجوع والعطش وأخذتنا الحيرة أنرجع أم نمضي قدما ولكن إلى أين؟ فصممنا على المرور بين صخرتين لعلنا نجد منفذا فدخلنا بينهما ووجدنا في أسفلهما ماء نتنا كريه الرائحة، ولشدة العطش شربنا منه وكأنه من عين السلسبيل وكانت الصخور ضيقة بحيث تضغط أجسامنا مما جعلها تتخدر وأصبحنا لا نكاد نحس بها ثم وصلنا إلى منحدر صعب جدا بصخور زلقة بين جبلين حتى خيل إلينا أننا سنهوى إلى الأسفل بين لحظة وأخرى وبعد مسافة ليست بالقصيرة أخذ المنحدر في الاعتدال شيئا فشيئا وإذا بسيارة تبدو لنا عن بعد بالقرب من بيدر وكانت للعدو الإسرائيلي فلزمنا الأرض فأعماهم الله عنا ثم مشينا إلى الغرب واختلفنا ثانية حيث بدت لنا سهول شاسعة بعيدة المدى وخلفها جبال تمتد من الشمال إلى الجنوب في اتصال لا ينقطع فقلت مجادلا من معي سنذهب إلى الغرب ولو أدى بنا المطاف إلى السجن في اسرائيل، ألا يكفي ما لقيناه من عذاب مر في طريقنا من شدة الجوع والعطش والإنهاك والخوف واليأس الذي أصابنا والمنطق أن الإتجاه يقودنا غربا إلى نابلس لأنها ستكون حتما أمامنا فأطاعوني مكرهين والحقيقة أن سبب عنادي كان في أنني مقتنع أنهم أيضا لا يعرفون ماذا يفعلون وإلى أين يتجهون مثلي تماما ولا بد من المغامرة اليائسة فلا خيار غيرها ومشيت امامهم لوحدي والغضب واليأس يملآن جوانحي وإذا بشيء يصدر أشعة تلمع كأنها المرايا في تلك السهول وفي أماكن عديدة في حفر شبه مطموسة كأنها

القبور واحترت أأذهب نحوها أم لا وأخيرا توجهت نحوها وإذا بخوذات وملابس عسكرية ملقاه لاعلم لنا بهويتها . فذهلت وخفت ووقفت حائرا لا ادري ما أصنع وأثناء حيرتي تلك لحق بي من كانوا حيارى مثلي متوقعين وجود كمائن مراقبة للعدو قرب هذه المنطقة وبعد قليل ظهر الفرج من الله فرأينا رجلا يلبس زيا عربيا يظهر لنا من جانب الجبل فاقبل نحونا وطرح علينا السلام فانسنا به وأخذ يسألنا من نكون ؟ فأجبناه نحن عمال في مزارع الخطيب علما أنني لا أعرفها ولكن سمعت الناس يذكرونها في تلك الأنحاء فقال لي: ليس صحيحا ما تقول فأرجلكم ملينة بالطين وإنكم قادمون من الأردن فلا تجزعوا وأنا عربي مثلكم فأخبرته بمن نكون فعلا وما هي وجهتنا فقال: هذه السهول سهول طمون وإن طريقكم خاطىء ولو استمريتم فيه لوقعتم في أيدي أحدى الدوريات الإسرائلية والتي سوف تعذبكم وتأخذ ملابسكم وكل شيء معكم ومن ثم تعيدكم من حيث اتيتم وكان هذا في أول دخول الجيش الإسرائيلي إلى الضفة الغربية في العام ١٩٦٧م، أما الوضع بعدها فقد اختلف فمن كان يقع في أيديهم فإنهم يعذبونه ويسجنونه وأعطانا ذلك الرجل الكريم خبزا وماء ولبنا جافا ووصف لنا الطريق فرجعنا شرقا مع انحراف قليل إلى اليسار وإذا بطريق معبد في وسط الجبل وإذا بسيارة أجرة صغيرة فركبناها ولم يسألنا سائقها عن شيء ومررنا بدورية إسرائلية فبلغت القلوب الحناجر ولكنها لم توقفنا فتنفسنا الصعداء وحمدنا الله كثيرا على السلامة والنجاة. ووصلنا نابلس المدينة الجبلية الجميلة بأشجارها وتنظيم عماراتها . وألقينا عصى النسيار على أحد المقاهي وتناولنا العصير وبعد أن إرتحنا قليلا ركبنا سيارة أخرى أوصلتنا إلى مدينة الخليل ومنها توجه كل منها إلى أهله ولا تسل عن مفاجاة وصولنا إلى أهلنا بغتة ثم حصلت على هوية إسرائلية بعد أن طلبت إسرائيل من أهل الضفة عمل تلك الهويات وإجباريا بعد أيام من وصولي .

في معهد المعلمين برام الله عام ١٩٦٧م

كانت المرحلة التالية من رحلة عمري هي الدخول في معهد رام الله التابع لوكالة الغوث. حيث درست وتخصصت في اللغة الأنجليزية عام ١٩٦٧م واثناء ذلك شهد المعهد عدة مظاهرات ضد اليهود وهدمت منازل وفنادق. وكم كانت البيرة ورام الله ساحرتين بتنظيمهما العمراني وشوارعهما الواسعة ومتنزهاتها الساحرات ويحيط بها من كل جانب أشجار وورود وأزهار وتقع إلى الغرب من رام الله بلدة الطيرة والتي تحوي معهدا للمعلمات وجنوبها الغربي قرية بيتونيا وجنوبها الشرقي مدينة بيرزيت وهناك على الطريق الواصل بين القدس ورام الله قلنديا وبها مخيم ومطار ومعهد صناعة تابع لوكالة الغوث مخيم فشعفاط فالبلدان

والقرى الموصولة إلى المدينة القدس الخالدة الساحرة الجمال وفي تلك الفترة اضطر الأهل إلى الرحيل إلى الأردن حيث مصالحنا التجارية وليستطيع اخوتي إكمال دراستهم الجامعية .

وصف موجز للطريق بين القدس والخليل

لزيارة القدس وقع جميل في النفس لمكانتها الدينية وتاريخها العريق وبعد رحيل الأهل كثيرا ما زرت القدس العربية أما القسم المحتل منها فهالتي واحنقني رؤية اليهود فيها ولشدة ألمي لم أكرر الزيارة إلى تلك البقاع الطاهرة واقتصرت زيارتي إلى القدس العربية حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة ومسجد عمر وكنيسة القيامة وغيرها الكثير التي تروي قصة الخلود لهذه المدينة وكم صعدت إلى جبل المكبر ، وعادت بي الذكريات إلى مجيء الفاروق رضي الله عنه من هذا الجبل مكبرا لمرأى بيت المقدس وبعد المكبر تقع بلدة صور باهر وتحاذيك قناة قديمة للماء ويقال أنها كانت تنقل الماء من عين العروب قضاء الخليل لتروي القدس وهناك على يمين الطريق بلدة الخضر قيل أنها سميت بذلك الأسم نسبة للخضر عليه السلام ثم تدخل مدينة مهد المسيح عليه السلام (بيت لحم) ويقسمها الطريق المار من القدس إلى الخليل وتجاورها بلدة بيت جالا وبعدها مخيم الدهيشه ثم تستمر الطريق فتقابلك وعلى اليسار برك سليمان والتي بناها السلطان سليمان القانوني في طريق الحجاج تحيط بها الأشجار العالية الكثيفة ثم تمر بالعروب وهو مخيم للاجئين الفلسطينيين يقابله إلى يمين الطريق مدرسة زراعية على مستوى معاهد المعلمين وإلى الشرق من العروب بلدة سعير وإلى الغرب منها بلدة بيت أمر المشهورة بتفاحها وفواكهها وتكثر في تلك المنطقة كروم العنب وبعد أن تودع العروب وعلى يمين الطريق (كفار عصيون) وهي عبارة عن معسكرات للجيش ثم تصل إلى بلدة حلحول البلدة العريقة تحيط بها البساتين من كل جانب وبها نهضة عمرانية جيدة وتكاد تتصل بمدينة خليل الرحمن عليه السلام تلك المدينة الجبلية الرائعة الجمال تكاد تغمرها الأشجار المثمرة وفي هذه المدينة المسجد الإبراهيمي الذي تأخذك روعته ومهابته وقدسيته وقد كتب لي والحمد لله أن أديت الصلاة فيه وفي الأقصى مرارا فله الحمد والشكر على ذلك وفي هذا المسجد مراقد عدد من الأنبياء عليهم السلام، سيدنا ابراهيم الخليل وعدد من أبنائه وزوجاتهم وهي مدينه عريقة قديمة كنعانية وتشكل اليوم قاعدة لما يعرف بمحافظة الخليل وهي مجمع تجاري واقتصادي نشط بين المدينة وقضائها والمدن الأخرى داخل وخارج الوطن المحتل .

الباب الرابع

في السعودية وفي مدينة المذنب من أعمال منطقة القصيم بنجد ١٩٦٩م

بعد أن انهيت دراستي في معهد المعلمين برام الله حضرت إلى الأهل في الأردن ومن عمان تعاقدت مدرسا بالسعودية . وكم كنت محظوظا أن عينت في مدينة المذنب من منطقة القصيم والتي تتوسط إقليم نجد وكان ذلك في العام ١٩٦٩م. وكم لي من الذكريات الجميلة والتي لا تنسى مدى الحياة سيما وهي أرض أجدادي ديار نجد العذية والمذنب مدينة جميلة تحيط بها الأشجار الحرجية كالأثل وهي أشجار من فصيلة الصنوبريات والتي تستعمل بذورها في دباغة الجلود وهذا الشجر كثيف وكثير التكاثر وبها غابات ومزارع حديثة تحتوي على مختلف الخضراوات والفواكه والنخيل، تروى من آبار مياهها القريبة من سطح الأرض وتستعمل المولدات الحديثة لإخراجه وتكثر فيها قطعان الإبل وتحيط بها كثبان رملية وجوها حار قليلا ولكنها منطقة رملية فعندما ينزل المطر سرعان ما يغيض فيها وبعدها تخرج الأزهار البرية مختلفة الألوان والأشكال ولكنها قصيرة العمر لكون تربتها رملية ولا تحتفظ بالماء لمدة طويلة وأهلها متدينون طيبون كرماء وفي هذا الجو الرائع تكثر الرحلات حتى انها تكاد تكون في فصل الربيع اسبوعيا. ومن أشهر الأكلات في الرحلات الطبخة الشعبية السعودية (الكبسة) والآن أصبحت معروفة للكثيرين من الناس على مستوى عربي وكم هي ممتعه وجميلة طريقة الإعداد للطعام وخاصة من ذوي الخبرة من المدرسين الذين سبقونا وتؤدى الصلاة جماعة ويجب أن يؤديها الذكور من سن السابعة فما فوق في المساجد إلا المريض أو الغائب ، وما أجمل رمضان هناك فأجواء الروحانية تطلق في كل مكان من المسجد والمدرسة والشارع والبيوت وعندما نخرج للخلاء فإنا نجمع الأعشاب وخاصة الطبية منها مثل الجعدة والأقحوان ورجلة العصفور والشيح بين زقزقة العصافير والطيور ومن أجمل الطيور التي رأيتها منها هناك ما يعرف بام سالم وهي أكبر من القبرة وبجانب جناحيها خيوط بيضاء وليس لها نتوء بالرأس تأخذ بالإقلاع التدريجي المتسارع على الأرض مسافة ما كالطائرة ثم

تنطلق في الجو مسرعة وبعد لحظات من الطيران تقوم بحركات رتيبة وسريعة تتقلب في كل اتجاه لتصدر أصواتا متتالية ساحرة وكنا نشاهد الضب الحيوان الصحراوي الزاحف المشهور وهو حيوان يشبه الحرذون في بلادنا إلا أنه أكبر جدا وجلده أخشن وذيله يتكون من حلقات حرشوفية كذيل التمساح وإذا ضرب بذيله إنسانا فإنه يجرحه ولحمه من الأكلات المشهورة والمحببة لسكان تلك المناطق والكثير منهم يفضله على لحم الضأن والماعز، وهناك أيضا الورل وهو أكبر من الضب ولا يؤكل وجلده أقل خشونه من الضب وذيله طويل غير محرشف ويأكل الديدان والصراصير والحشرات ويتشاجر بعنف مع الأفاعي وأحيانا يقتلها والعدو الحقيقي لهذا الحيوان هو الصقر والحدأة والقنفذ الذي يتلوى عليه ويأكله ويأكلون الضبع ويخافون من الذئب لأنه يهاجم الأنسان بشراسة وعنف في جماعات أو فرادى ويقتله ومن عادات الذئب الغريبة إنه إذا جرح فإن الذئاب تأكله. ومن القصص التي سمعتها أن رجلا خرج إلى الصحراء ولم يكن معه سلاح وأدركه المساء فإذا بذئب يعوي قادم نحوه باندفاع شديد فخافه الرجل وكان قريبا من جحر لعله لذئب ولكن لطف الله أن كان هذا الجحر بالقرب من شجرة صحراوية فأخذ منها جذعا كبيرا به عدة أغصان وسحبه خلفه ودخل الجحر فسد ذلك الجذع بابه ونام حتى الصباح وخرج من الجحر ولم يجد الذئب فعاد سالما إلى أهله ومن طيور الصحراء الجميلة (الحبارى) وهو طائر أبيض هادىء أكبر من الدجاجة لذيذ اللحم أصبح نادر الوجود لتهافت الناس على صيده ومن حيواناتها (الوبر) ويشبه القط إلا أنه لا ذيل له ويقال انه يؤكل والنيص لا يؤكل ومن طيورها طائر الكروان الصحراوي الرائع الجمال والساحر الصوت ويشبه ديك الدجاج إلا أنه أطول وأرفع ولونه شبيه بالأرض وهناك الدرج ويشبه الشنار ويسمى بالحجل وهو أصغر من الشنار ويؤكل ومن حيواناتها أيضا الأرنب البري ويصطاد بطريقة المطاردة حتى يتعب ليلا ويبهره ضوء السيارات وعندها ينزلون ويقبضون عليه وهناك الجربوع وشكله كالأرنب الصغير ولكنه بحجم الفار ويأكل الحشائش فقط وبمؤخرة ذيله خصلة شعر بيضاء ويصطاد كما يصطاد الأرنب البري . ومن القصص الجميلة أن أحد زملائي ملأ كيسا صغيرا على ظهر الدراجة النارية ويسمونها (دباب) وبينما نحن نتكلم نسيها فقفزت جميعها إلى الأرض هنا وهناك بمنظر جميل ساحر إلى غير رجعه ولم نستطع الإمساك بأي منها كالسجين يفر من سجانه وفي المذنب الواقعة على بعد ٣٠كم جنوب مدينة بريدة وشمال بلدة العمار ومن الغرب قرية الأرطاوية وللحقيقة ولما لقيته من كرم

الوفادة في تلك البلدة كنت أدرس الطلاب للمرحلة الإعدادية (لغة إنجليزية) مجانا وبعد الدوام المدرسي، وذلك لحرصي على مصلحتهم مع العلم انني كنت اعيش لوحدي وما يتطلب ذلك من العناء في إعداد الطعام وغسل الملابس وتحضير الدروس....

في قصر البطاح قرب قصر بن إعقيل / بالقصيم بنجد ١٩٧٠م

وفي العام ٧٠/٧١م تحولت إلى التعليم في المرحلة الإبتدائية برغبة وإلحاح مني وكنا نتبع مدينة الرس تعليميا ولا يمنع ذلك من مراجعة مديرية تعليم بريدة ايضا، وبريده تلك المدينة الجميلة التي تعج بمختلف المحلات التجارية منها الكبير ومنها الصغير ولثقتهم وطيبتهم فإن أصحاب تلك المتاجر كانوا يعطونا ما نحتاجه بالدين ولو كان كثيرا ولمدة طويلة وكانت شوارعها غير معبدة باستثناء الرئيسة منها ولكنها سهلة والرئيسة تلك تصل بين بريدة والرياض ومكة المكرمة ويغلب على المحلات التجارية طابع الأسواق الشعبية البسيطة التي تبيع كل شيء تقريبا وخاصة محلات (الخردة) أما الخدمات العامة من صحة وبريد وتعليم وماء وكهرباء فكلها كانت متوفرة وفي وقت الصلاة تغلق المحلات التجارية وعلى الجميع الذهاب إلى المسجد، وأكثر ما يشد المشاهد في تلك الفترة هو ترك المحال التجارية مفتوحة حيث يعم الأمن الناس بالإضافة إلى الخوف من إقامة الحد على من ارتكب حدا كالسرقة مثلا. وطيلة وجودي هناك لم أسمع لفظا غير لائق فشريعتنا الغراء تنأى بالمسلم ان يكون لعانا أو سبابا وفي هذا العام المشار إليه آنفا سكنت بلدة يقال لها (قصر بن إعقيل) ويقال أنها سميت بذلك نسبة إلى ابن عقيل والذي قيل أنه ينحدر من بني أسد بن ربيعة العدنانية وهي إلى الشمال الغربي من الرس على الطريق الواصل بين مدينتي الرس وبلدة صبيح . وصبيح هذه على مثلث الطريق الواصل بين بريدة والمدينة المنورة ومن دونها مثلث يؤدي إلى عدة بلدان أهمها البكيرية والبدائع والهلالية ثم إلى عنيزة المدينة الساحرة الجمال بمزارعها وأشجارها وتقع على مثلث الطرق بين الرياض والخبرا والبكيرية فطريق بريدة صبيح المدينة المنورة وكنت أدرس في قرية قصر البطاح وهو إلى الغرب من قصرين إعقيل بكيلومتر واحد وهي منطقة رملية كثيفة لا تستطيع السيارة الخروج عن الطريق وترى المزارع المنتشرة هنا وهناك ويقابلها منطقة الشنانة والتي حصلت فيها معركة حاسمة بين ابن سعود العنزي وابن رشيد الشمري وكانت الغلبة فيها لابن السعود وكم خرجت بصحبة زوجتي مشيا على الأقدام أو بالسيارة للتنزه حيث تكثر فيها المناطق الحجرية والتلال متوسطة

الإرتفاع فنجلس عليها ونتناول طعامنا ونشرب الشاي وقبل أن تصل إلى بلدة النبهانية (بلدة جميلة تقع في حضن جبال أبان) وأبان هذه عدة جبال متصلة منها الأبان الأحمر والأبان الأسود . وهي جبال عالية متصلة ببعضها البعض على امتداد كبير فحيثما اتجهت إلى الجنوب من بريدة تراها أمامك منتصبة كأنها سد يمتد من الغرب إلى الشرق وهناك وادي الرمة الشهير والذي يمتد من المدينة المنورة إلى قبيل البصرة . وقيل أنه كان يصب في الخليج العربي عند بلدة أور والتي خرج منها سيدنا ابراهيم عليه السلام هناك وأصبح يغور في الرمال وعليه جسر من أطول جسور الجزيرة العربية اذ ذاك حيث يبلغ طوله الكيلومتر، ووادي الرمة أشهر وأطول أودية الجزيرة العربية . وبعد هطول المطر يتحول إلى نهر عظيم إذ يبلغ عرض ضفتيه قرابة ال ٢٥٠م ويستمر في الجريان لمدة شهرين تقريبا، وبعد انقطاع المطر تصبح الأرض حوله خضراء ساحرة خلابة ومتنزه للناس، ومن أشهر نباتاتها التي تتغذى عليها الحيوانات (الرمث والحمض) خاصة رؤوسها، وعندما تجوع تأكل أطرافها الطرية وهي سريعة الإشتعال رغم خضرتها وتشبه شجيرة (البلان) ولكنها ليست شوكية وورقها صغير، وبعد النبهانية بقليل تصل بلدة صبيح وبين جبال أبانات وحولها تسكن قبائل عدة في هجر وبيوت شعر وقرى متناثرة ومتباعدة تربطها طرق صحراوية بعضها سهل والآخر رمال متفواتة في عرضها وسمكها وقد كانت تلك الديار مضاربا لعدة قبائل عربية.

وقد كانت مرتعا لخيل عنترة العبسي من قيس عيلان وذكرت في أشعاره وفي أبانات الوسطى وتعت خيل خالد بن الوليد رضي الله عنه أثناء حروبه مع المرتدين وبإمكانك أن ترى حزائب في الأودية جهات قرية الخشبية قيل أن معارك حصلت قربها أو فيها بين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين المرتدين وانتصر فيها المسلمون والمناطق التي رعت فيها الخيول تسمى (جبل الخيل) أو جبل خالد وهي تحاذي الشبيكية للجنوب الغربي ومن دونها جبل سواج ومن دونه جبل فرقين الذي يقابل قرية أبي نخلة جنوبا بحوالي كيلومتر وهي حدود القصيم مع الوشم حيث تجاورها قريتي عريفجان وأبي جلال وهما لقبيلة (عتيبة) بينما الشبيكية وأبي نخلة لبني عمرو من قبيلة حرب وتقع أبو نخلة على طريق الحجاج القديمة بين بريدة والمدينة المنورة وهي ترابية وتعرف بدرب الحجاج وعلى جوانبها ترى خرائب لآبار ماء ويقال أنها احتفرت بأمر من السيدة (زبيدة) زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد بالإضافة إلى ما يعرف بعين

زبيدة في مكة ومنها ما هو منسوب لبني هلال القيسية وفي قصر ابن عقيل وقصر البطاح قضيت سنة ولا أجمل منها سنة وأثناءها كنا نحصل على متطلباتنا اليومية من الرس وتقع إلى الشرق من قصر ابن عقيل وتكاد تتصل بها سهولها مستوية فسيحة رملية وبعضها ترابي وفي مدينة الرس تكثر المتاجر ومحلات الخضراوات والتي على الأغلب تكون من انتاج مزارع القصيم وتمتاز خضرواتها ولا سيما البطيخ والبصل والقرع بكبر الحجم وتجلب إلى الأسواق من مدن وبلدات: (بريدة، المذنب، عنيزة ، البكيرية، رياض الخبراء، البدائع ، الشماسية) والأخيرة تقع إلى الشرق من بريدة على طريق الزلفي- الرياض من الجهة الشمالية حيث هناك طريق أخرى وهي بريدة المذنب العمار الرياض ومن بريدة للغرب طريق الأسياح حفر الباطن الكويت وهي صحراوية صعبة للغاية .

في الأسياح بالقصيم بنجد ٧١م

في العام الدراسي ١٩٧١/١٩٧٢م ارتحلت إلى بلدة الأسياح ومن بلداتها الأبرق غرب عيون ابن إفهيد تبعد عن بريدة بحوالي ١٤٠كم ثم انتقلت إلى قرية الجعلة وتقع شمال بلدة العيون وسكانها من قبيلة عنزة وتكثر فيها غابات النخيل والطيور المهاجرة وقد كانت فيها أنواع من النخيل المختلف الأطوال والأنواع ومزارعه كما هو في بريدة وغيرها تكاد تحجب الشمس ومنها الشجر الباسق والقصير وكنت أجلس تحت النخلة مع زوجتي ونقطع ثمارها جلوسا ، حيث النخلة دانية من الأرض والرمل من حولها مرتفع . وكم كانت حلوة المذاق وعندما يوضع قطف البلح في وعاء حديدي فانك تجد عسله بكثرة في أسفل الوعاء وأهلها كرماء طيبون يكثرون من صيد الطيور المهاجرة التي تأتي في موسم نضوج الثمر وهي متعددة الأشكال والألوان ويطلق عليها (دخل) وهي لذيذة الطعم وكانوا يأكلون لحم طير آخر أصفر اللون أصغرمن الحمامة يسمى (الصفيري) وكانت البقالات هناك لا تحوي سوى المعلبات و(البسكويت) مما يجعل أهل تلك البلدان والقرى يحصلون على حاجياتهم من مدينة بريدة التي تبعد حوالي ١٤٠كم ومع أن السامع يخيل اليه أنها قصيرة إلا أنها كانت تعادل مئات الكيلومترات لصعوبة الطريق وكثرة الرمال فيها رغم أن الناس هناك يركبون مختلف انواع السيارات ولكنها جميعا متعبة بلا استثناء فأثناء صعودها ونزولها يضرب رأس الواحد منا في سقف السيارة ولا أظنكم تتخيلون ان قطع هذه المسافة كان كافيا لإفساد بعض الخضراوات مما نشتريه خاصة وقت الصيف حيث الحرارة الشديدة واهتزازها

وحركتها القسرية من المطبات وبالقرب من عيون ابن فهيد بكيلومترات شرقا عيون الجوا موطن عبلة محبوبة عنترة . ولا أظن قارئي لم يسمع قول عنترة :

يا دار عبلة بالجواء تكلمي   وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

ويقال ان مرابط الخيل ما زالت موجودة هناك وأغلب سكانها تغلب عليهم البشرة السوداء وكذلك قرية قصيبية المجاورة أيضا وهم طيبون ويقال والله أعلم أن نفقا كانت تمر به خيولهم تحت قرية عيون الجوا لا زال موجودا وعلى الطريق الواصل بين الأسياح وبريدة توجد عيون كبريتية شديدة الحرارة تتراوح حرارتها بين ٩٠-٩٥ م وحجارتها يمكن أشعالها وهي كريهة الرائحة لما تحويه من مادة الكبريت. وتسمى الأسياح على ما يبدو لكثرة المياه التي تسح في كثير من أماكنها . ويكثر هناك البعوض الذي يقابلك بأسراب كانها سحابة سوداء بموسيقى هادئة رتيبة ولا ابالغ أن قلت أنني كنت أضع يدي على رقبتي فتمتلىء بعوضا وأسرع في السير حتى احتمي بجدران البيت الذي أدركه وأبوابه ونوافذه التي يغطيها شبك الحديد بالكامل. والمزعج الأكثر لنا كانت المياه كبريتية ولكنه بدىء في بناء خزان حديدي ضخم كلفته عالية لتبريد المياه وتنقيتها إذ كانت تصل البيوت في درجة الغليان أو تكاد، حمراء كعصير البندورة نتنه الرائحة بسبب احتوائها للكبريت كما ذكرت. ولقد ذكرت في كتب التاريخ نار بني عبس التي تندفع من مناطقهم ولعلها هذه النيران التي تشتعل بسهولة فوق هذه المياه والتي يتعالى فوقها وباستمرار غاز قابل للإشتعال.

ولكن ما العمل ؟ كنا نحاول تبريدها بوضعها في أوان فخارية لمدة طويلة لنتخلص من اللون والرائحة ولتبريد تلك المياه ما امكن بطرق بدائية ولكن هذا هو الوضع الذي عشناه ولا يستطيع أحد بتلك الطرق القضاء على الرائحة وعلى اللون تماما. أما الطريق من الجعلة للعيون فكانت صحراوية ممهدة والارض خالية من الرمال وبها حجارة متناثرة هنا وهناك تتخللها (الحمادة) وهي صحراء سهلية وتكثر بها واحات النخيل وتكاد تكون متصلة ببلدة العين أما من العين إلى الغرب حتى قصر العبدالله فغابات النخيل الكثيفة المتشابكة والأرض تحت هذه الغابات عبارة عن سبخات مائية، القدم فيها قد تغوص أحيانا وتنزلق الأخرى بها وكذلك عجلات السيارة وهي أرض ملحية وكم من المدرسين من انزلقت به الدراجة أثناء السير (كانت الدراجة النارية هي وسيلة المواصلات المتاحة لكثير من المدرسين المتعاقدين ومنهم أنا وذات مرة ركبت خلف أحد الزملاء على الدراجة فراحت تتخبط يمنة ويسرة ونحو الأرض بسبب الإنزلاقات في سبخة فسقطنا عنها ولا

تسل عن خجلنا من ذلك أمام زملائنا الذين سبقونا إلى بلدة العين حتى أننا كتمنا الخبر عنهم خجلا من (تعليقهم علينا) وهذا الوقوع كان يحدث كثيرا ولكن الله يستر فتكون العواقب سليمة.

وبيوت الجعلة متواضعة من اللبن الترابي وهو عبارة عن طين مخلوط بالتبن ثم يحمل باليد ويوضع في صناديق خشبية ويضغط بخشب فوقه ثم يفرغ ويترك حتى يجف.

ثم انتقلت إلى قرية قصر العبداالله للعمل مع صديق لي عزيز معلم أيضا ويسكن هناك، وقصر العبداالله يقع إلى جنوب العين بحوالي ٣كم وسكانها من قبيلة عتيبة وهم كرماء طيبون متدينون ومياه تلك القرية عادية ولم نجد بيتا سوى الذي سكناه للإيجار وكان قديما موحشا ومن المناظر التي شاهدتها ولم تمحها السنون من الذاكرة أني كنت جالسا يوما مع زوجتي وإمامنا ابنتنا الصغيرة واذ بأفعى حمراء اللون طويلة وعريضة لم أر مثلها في حياتي تمر بالقرب منا في سير عادي ترمقنا بكبرياء وتحد ودخلت تحت الدرج الذي يؤدي إلى غرفة على السطح في جحر قديم وأوقدنا النار في فوهة الجحر ولم تخرج ولم نرها بعد تلك المرة أبدا حيث شاع عند العامة أن الأفعى يهرب من روائح وأدخنة المطاط المحترق. وللحقيقة فإن طيب الناس هناك وكرمهم وحسن خلقهم كان ينسينا تلك المعاناة، وإن كثرة المياه والأشجار وخاصة النخيل والحيوانات وأصناف الطيور كانت السبب في كثرة البعوض والذباب مما يحد من فاعلية الرش بالمبيدات الحشرية كما وأن التطور السريع فيما بعد قد بدل الحال كثيرا ونالت تلك المناطق نعمة المواصلات والخدمات الجيدة الضرورية الحياتية المتنوعة.

في بلدة دخنة في القصيم في نجد ١٩٧٣م

وفي نفس العام الدراسي نقلت إلى بلدة دخنة لسد شاغر في مدرستها وهذه البلدة تقع إلى الشرق من الرس بحوالي ثلاثين كيلومترا وأهلها من سبيع كرماء متدينون وهي بلدة هادئة جميلة يشتغل أهلها في التجارة وتربية المواشي وهي متوسطة الحجم وبها مدرسة إعدادية وتحيط بها الجبال العالية والمتوسطة الإرتفاع ثم سهول صحراوية وعندما تقترب من الرس تبدأ الأودية الرملية الواسعة وبالقرب منها غربا جبل عال وكم حاولت الصعود اليه وكلما علوت وجدت قمتين متلاصقتين لا يمكن الوصول إليهما إلا بصعوبة بالغة ومن أماكن خاصة فقط وقيل إن هذا الجبل واسمه خزاز قد حصلت عنده الواقعة المشهورة بين قبائل اليمن القحطانية وبين قبائل الشمال العدنانية من ربيعة وقيس بقيادة كليب وائل وانتصر

فيها العدنانيون وظهروا بعدها وكانت نتائج تلك المعركة أن ملكوا كليبا وائل على جميع قبائل عدنان ولقد كانت من الأماكن التي بها مرابط ومراتع خيله وهكذا لمن جاء من بعده وديار اسمها حمى ضرية وهو جنوب الشبيكية للشرق وقريبا من المدينة المنورة ويقاربه حمى الربذة الذي توفي فيه الصحابي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان شتاء تلك السنة قاسيا ووسيلتنا للتدفئة هي الحطب نجمعه أو نشتريه وهو من عروق الرمث أو الشجيرات الصحراوية ومن النوادر الطريفة أنه في مساء يوم من تلك الأيام شديدة البرودة حدث وأن زارني زميل لي وهو يرتعد من شدة البرد القارس ولم يكن امامي من وسيلة لتدفئته إلا أن اقوم بتكسير طاولتي إذ لا يوجد حطب في تلك الساعة وكان ما عندي من الحطب قد نفذ من شدة البرد ولم أتمكن من الحصول على بديل له يومها فالقرية لم تكن معظم حاجاتنا متوفرة بها والمواصلات منها واليها صعبة للغاية وأهلها طيبون وهي هادئة شاعرية جميلة وقد طالتها يد العمران والخدمات الجيدة فيما بعد.

في قرية عطي/ القصيم بنجد ١٩٧٢م

راق لي الانتقال لأعمل مع صديق عزيز علي في قرية عطي فانتقلت اليها وتبعد أربعين كيلومترا إلى الجنوب الشرقي من بلدة صبيح وحوالي عشرين كيلومترا جنوب جبال أبانات وتكون على خط واحد مواز للنبهانية خلف الجبال فوافقت بدون تردد. ثم ذهبت اليها ويالهول ما وجدت بيوتا من الطين بلا ماء أو كهرباء ولم أجد بيتا للسكن وهنا وقفت في حيرة من أمري ماذا أفعل؟ وما هو موقفي أمام مدير التعليم إذا ما طلبت الإنتقال ثانية ؟ أسئلة كثيرة دارت في رأسي وفي أثناء ذلك كنت قد استاجرت بيتا في بريدة لأيام قلائل تمهيدا لنقل أسرتي وتمكنت أخيرا من العثور على بيت وسكنت فيه وعلى الرغم من الخراب الذي كان فيه وإما الخبز حيث لا توجد أفران فكنا نخبز على بلاطه عادية . وإما الماء فكنا نحصل عليه من صهاريج خاصة لبيع المياه وإما الأضاءة فكانت بدائية حيث السراج ذو الفتيلة التي يمر خلالها الكاز فيحترق ويضيء الفتيلة. وكان بها مستوصفا . والطريق اليها ترابية ولكنها سهلة المسير حيث تحيط بها أرض سهلة لا هي بالرملية الغزيرة ولا بالجبلية الصعبة ومن جميع الجهات من الخط الواصل بين صبيح وعقلة الصقور فالحناكية فالمدينة المنورة حتى عطا (وتبعد شرق عطي جنوبا بحوالي كيلومتر وأحد ومن جبال ابان وحتى الجبال التي تليها شمالا بحور من الرمال وبين الرمال توجد مزارع البرسيم تحيط بها الأثل وكان تلك

الرمال أحيانا اراض شاسعة ترابية يابسة تتخللها نباتات الرمث والحمض كانت في القرية بقالة متواضعة تفي ببعض حاجاتنا هناك والقليلة ولكن كنا نحصل على حاجياتنا الاخرى الغير متوفرة هناك من مدينتي الرس أو بريدة بذهابنا شخصيا أو أحد الأشخاص الذين يذهبون إلى أحدى تلك المدينتين واهل هذه القرية من بني عمرو ويسمون البيظان (وهم فرع من بني عمرو بن مسروح من بني حرب) وهم للحقيقة من أكرم الناس وأطيبهم اذ كانوا يشاركوننا في السراء والضراء وكانوا يهدوننا من خيرات مزارعهم ومن مشتقات الألبان متحملين وعثاء الطريق من مسافات بعيدة ليصلوننا بما لديهم ومن الأشخاص الذين لا تتساهم الذاكرة جارلنا يعمل في الحرس الوطني السعودي في رفحاء في أقصى شمال السعودية قد سمع باننا نود الرحيل من بيتنا حيث كان بعيدا عن القرية بسبب رحيل الجيران مع أغنامهم للمرعى مسافة بعيدة ومن أجلنا ألغى رحلته حيث المراعي وقرر ان يقيم أهله معنا ولكننا رحلنا فجاة حتى لا نحرم أغنامه من فرصة الرعي والتي لا تتكرر في العام إلا مرة واحدة بعد هطول الأمطار في موسم الشتاء المتاخر عادة الموصل والمتصل بفصل الربيع والذي لا يطول عمر الربيع منه لشدة الحر . ومن المواقف المشرفة اننا زرناهم ولم نجد إلا إمرأته واصرت علينا للغداء ولكننا أبينا وهي بدورها أصرت إلا أن تعطينا شاة غداء لنا وهكذا كان . فأين هذه الطيبة وهذا الخلق الرفيع الذي تتحلى به المرأة العربية وكانها رجل البيت فنعما لتلك المرأة وأمثالها . وإلى الشرق منها للجنوب قرية عطا وأهلها من قبيلة حرب أيضا وجنوبها بلدة فياضة أهلها من حرب وفياضة هذه بلدة رائعة وكم خرجت اليها بصحبة العائلة للتنزه حيث طيب الهواء بين مزارع البرسيم والجرجير يحيط بها شجر الأثل وهذا الشجر ورد في اشعار العرب ومنها قول الشاعرة زينب الطثرية

في رثاء اخيها يزيد:

أرى الأثل من وادي العتيق مجاوري مقيما وقد غالت يزيد غوائله

فهذه المرأة تعتب على شجر الأثل ذي الأورق الخضراء الدائمة الخضرة كيف لا زال قائما وقد مات يزيد. وهو نبات صحراوي ذو أوراق برية . ومع هذا الجمال الرائع والطبيعة الشاعرية الساحرة الأخاذة فكانت الحياة صعبة لبعدها عن الحواضر مثل الرس وبريدة .ولكن يد التطور الحضاري المتسارع قد طالت تلك الربوع الشماء.

في قرية الخشيبة في القصيم في نجد ٧٢م

ومع إطلالة العام الدراسي ١٩٧٣/٧٢م طلبت الإنتقال إلى مدرسة الخشيبة وهي موازية لقرية إشنانة(بين قصر ابن إعقيل والرس جنوبا) وبعد يتراوح بين العشرين إلى الثلاثين كيلومترا وسكانها من قبيلة الزغبي من بني سالم من قبيلة حرب وهم اناس طيبون متدينون وهي قرية صحراوية فقيرة وشبه مهجورة ولا يحيط بها إلا الصحراء الجرداء وبساتينها قليلة ولا يوجد بها بقالات والطرق اليها ترابية صعبة ولدى زيارتي لمديرية التعليم في بريده حيث مديرها الخلوق وكان بمثابة آب حان لكل معلم وطالب فقد عرض علي إرسالي مديرا لمدرسة جديدة أحدثت في قرية أبي نخلة وتبعد حوالي اثنين وثمانين كيلومترا جنوب الرس على طريق الحاج القديم بين القصيم والمدينة المنورة وإلى الغرب منها بأربعة عشر كيلومترا قرية أبو جلال وهي قرية من قرى الوشم وسكانها من قبيلة عتيبة ويسمون بالدماسين.

وأبو نخلة قرية متناثرة هنا وهناك في وادي يمتد من عريفجان وأبي جلال مارا بالشبيكية متجها من الشمال إلى الجنوب وسط بحر من الرمال يحيط بأبي نخلة من كل جانب وعند نزول المطر يمتلىء ماء ولكن لا تدوم هذه المياه طويلا حيث يبتلعها الرمل وخلال فترة الأمطار تنقطع البلدة عما حولها من قرى ومناطق وبعد الوادي جبال مختلفة الارتفاعات وأكبرها جبل (فرقين) وهو صعب المسالك وينقسم في أعلاه إلى شعبتين تشكل كل واحدة منهما جبلا لوحده من الصخور الملساء التي لا يمكن الوصول إلى قمتها . وأهل البلدة أيضا من قبيلة حرب من بني عمرو ومنهم عشيرتي المشاعين والصوالحة وغيرهما وهذه الجبال تستوطنها الغربان والنسور والصقور والخطاف (وهو كالسنونو) إلا أنه أقصر جناحا من السنونو ويعمل عشه بأن ينزل لعابه على الأرض فيختلط بالتراب ويعمل منها كرات طينية كحبة الحمص ويلصقها بعضها بالآخريات ليصبح عشا عجيبا معلقا في السقوف. ومن طيورها وحيواناتها ونباتاتها مثل تلك التي تعرضت لها سابقا في منطقة القصيم عموما. وأهلها كرماء طيبون متدينون وتحتوي تلك البلدة على مسجدين واحد شرقي البلدة والآخر غربها. وإلى الشرق منها بعد خمسة كيلومترات منطقة اسمها الهيبيشة لكثرة الأعشاب فيها، كنا نذهب إليها في رحلات فكنت أذهب مع أسرتي معظم أيام الأسبوع إليها. وخاصة في الربيع وإلى جبال سواج وأبان لتلتقط الكمأة وهو فطر ينمو قريبا من سطح الأرض لا جذور له يشبه حبة البطاطا متوسطة الحجم وهو غالي الثمن ولذيذ الطعم ومفيد للجسم وماؤه

شاف بإذن الله لبعض أمراض العين وتكثر في تلك المناطق اماكن صيد الحبارى والضب والأرانب ومن نباتاتها المشهورة نبات العشر وهو شجيرة ترتفع عن الأرض حوالي المتر ونصف وورقها عريض أملس وساقها أبيض هش ولا يأكل أي مخلوق من نباته شيئا حتى ثمره كبير الحجم كحبة البوملي شكلا وحجما وعندما ينضج ثمره فإنه يتفتح حيث تخرج بذوره والتي عليها ما يشبه الريش فيحملها الهواء إلى كل اتجاه ولهذا تجده يكثر في السهول الرملية والأودية وزهوره بيضاء جميلة وتكثر في البلدة مزارع البرسيم والجرجير والرمان وقليل من التين (والكوسا والباذنجان والنعناع والبصل) وهي لا تزرع للبيع بل لاستعمالهم الشخصي ولا ينسون حق جيرانهم فيها .

وبعد ان استلمت ادارة المدرسة وجدت أن طلابها يأتون من أماكن بعيدة تنقلهم سيارات على حساب الوزارة وعددهم حوالي المائة طالب وتصرف لهم الوزارة وجبة غذائية عبارة عن قطع كعك وحبات تمر ورغيف خبز صغير وحبة جبن وعبوة حليب صغيرة ويتوفر بالقرية الماء والكهرباء التي تؤخذ من مولدات خاصة ورغم وجود دكان في القرية إلا أن معظم حاجيات السكان كانوا يحضرونها من مدينة الرس ويمارس أهلها التجارة والرعاية والزراعة وتمتلك معظم الأسر سيارات وهم أناس طابعهم الطيبة ولما لم يكن بالقرية فرن فكنا نخبز على بلاطة اول الأمر ثم صممت فرنا من الحجارة في وسطه صفيحة حديدية نخبز عليها بعد ان تحمى على نار الحطب والخشب ونباتات الحمض والرمث والورق المقوى ولم يكن في القرية مستوصف فكنا إذا اقتضى الأمر نذهب إلى مستوصف الرس أو عريفجان أو أبي جلال إنها قرية جميلة ساحرة حقا وقد طالتها يد العمران والخدمات الحديثة فيما بعد، فسقيا لكل يوم وليلة كنت فيها في نجد منبع الشعراء والفرسان الأماجد، فالعرب هم مادة الإسلام وحملة رايته الخالدة.

وفي العام ١٩٧٣م وبينما كنت وزملاء لي عند صديق لنا في منطقة الزهراء قرب حائل حيث قارب العام الدراسي على الإنتهاء ومع أنني ما كنت لأنام اثناء قيادة السيارة ولكن الله قدر أن يجري لي حادث فتحطمت مقدمة سيارتي ولم يحصل لنا مكروه وفي اليوم التالي تم سحب السيارة لعلنا نقوم بإصلاحها أو بيعها وفي أثناء عودتنا وقبل ان نصل مدينة الرس فاجأتنا سيارة لتحطم سيارتنا فدخلت في غيبوبة استمرت ثلاثة أيام وقد تركزت الصدمة على الشق الأيسر من جسمي وكان وقع الصدمة علي أليما اذ خسرت جميع ما وفرته عامي ذاك جرائها

وشجعني البعض من الزملاء على التعاقد مع ليبيا لارتفاع رواتبها ولعلي احسن من وضعي المادي عقب ذلك الحادث الأليم وعبثا استطاع أحد اقناعي العدول عن الاستقالة ورغم أن التواصل والترابط الاجتماعي هناك يعتز به إذ يقدم الناس المساعدات المجزية لمن يشتري سيارة أو يتزوج أو يحصل له حادث ومن كان في مناطق صحراوية او ريفية ولم يكن لديه أغنام فإنهم يقدمون له بعضها ليحتلبها طيلة الموسم ويرجعها لهم وإن اعتذر فإنهم لا ينسونه بدرها من حليب أو لبن او زبد أو أقط (جميد غير منزوع الدسم) ولكني اعتذرت عن قبول فلس واحد من أحد أو تعويض لذلك الحادث احتسابا لوجه الله تعالى.

الباب الخامس

في بيروت ١٩٧٤م

كان التعاقد مع ليبيا يتم من السفارة الليبية في بيروت فقررت الذهاب هناك وقد سافرت برا عن طريق الشام التي سأتحدث عنها في الصفحات القادمة وساصف هنا الطريق داخل الحدود اللبنانية حيث تتجه إلى الغرب وسط طريق تحف بها مناطق جبلية جرداء وأخرى مكسوة بالأشجار حتى تصل إلى سهل البقاع الواسع الجميل الذي يسحرك بأشجاره الكبيرة المتنوعة من حرجية ومثمرة وبساتينه وحقوله وسط قرى تجمع بين أصالة الماضي وتقدم الحاضر ثم تاخذ في الإرتفاع حتى تصل مصائف شتورة وصوفر ورأس الشوير وعالية وبحمدون الجميلة الساحرة ذات الأشجار الباسقة اليانعة الخضرة من ارز وصنوبر وسرو وتبهرك كرومها وحقولها وبساتينها وعماراتها الحديثة وبيوتها القديمة العريقة وحدائقها الغناء وجوها المعتدل اللطيف وطيب أهلها كباقي أهل لبنان الشقيق، وهي مناطق جبلية مرتفعة تطل منها على مدينة بيروت العاصمة وخلفها البحر المتوسط وسط العمارات الحديثة والمباني القديمة والتي لها من الجمال متعه رائعة ولو اراد الرجل السير فوق أشجارها المتراصة لاستطاع ذلك لعدة كيلومترات من حرجية ومثمرة فلله درك يابيروت ما أجملك ! .

في بيروت السحر والجمال الطبيعي الخلاب فحيثما سرح نظرك لا ترى إلا الجنان الخضراء وذهبت إلى البحر شاهدت كل ما هو جميل من مياه واسماك وعلى شطآنه ترى ملاعب للصغار والكبار على حد سواء والروشة تلك الصخرة كالجبال والتي تضربها الامواج من كل جوانبها ومن اسفلها شق تسير به القوارب ثم ذهبت إلى مغارة جعيتا ذلك الأثر الرائع تشكلها شابيب كلسية بألوان زاهية وبيروت ذات الشوارع الفسيحة والمساحات الخضراء تجعل الحياة فيها نابضة ليلا ونهارا واسعارها المعتدلة كل ذلك جعل من بيروت قبلة المصطافين والزوار ومن الأشجار التي تشاهدها فيها انواع الكروم والغابات الكثيفة جدا من الأرز والسرو والتي وكما ذكرت سابقا لو سار الرجل فوقها مسافات بعيدة لما سقط أرضا لشدة كثافتها وتلاصقها وكأنها سجادة خضراء ولا ننسى كلياتها ومكتباتها العريقة وكلنا يعرف الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية وفي بيروت تم التعاقد إلى ليبيا.

الباب السادس

الحلول في ليبيا ١٩٧٤م

ذهبت إلى ليبيا والشوق إلى نجد يصاحبني في حلي وترحالي . فعينت مدرسا في منطقة درنة في الجبل الأخضر على ساحل البحر المتوسط في مدرسة قرية القيقب. وهي بلدة تبعد للغرب من درنة به ٣٠كيلومترا وتمر الطريق وإلى الغرب منها بقرى كثيرة حتى مدينة (البيظا) وبيوتها قديمة وبها قلعة فيها متحف رائع لأسلحة تركية قديمة ولقد رايت مدفعا منتصبا على باب القلعة وقذيفته من حجارة تزن الواحدة حوالي ٣كغم وفي باب المتخف حديقة غناء تحتوي على أنواع عدة من الزهور والورود والبلدة محاطة بغابات الأرز والسرو والقيقب ويسمونه (الشميري) ورقه كورق البلوط دون شوك وثماره عناقيد خضراء ثم تصفر عند النضوج مع ميل للحمرة والصفرة في حجم وطراوة حبة الفراولة إلا أنها مستديرة، ويعمل النحل من نوره عسلا أبيضا مر المذاق وهو غالي الثمن ويستعمل كعلاج للسكري. وفيها الكثير من قطعان الخيول المهملة ترعى لوحدها وتنام في الخلاء. وأهلها يشتغلون بالزراعة وخاصة زراعة الحبوب وبالرعاية والتجارة والوظائف وهم أناس كرماء طيبون والبلدة متكاملة الخدمات تقريبا فيها مستوصف وبريد ومركز للدفاع المدني ومركز للشرطة وكهرباء والحاجات التموينية من خضراوات وفواكه وإذا أراد الإنسان الهروب من الرتابة فإنه يذهب إلى مدينة القبة وهي جميلة جدا تقع شرقي القيقب بحوالي ١٥كيلومترا ويمر منها طريق درنه بنغازي مارا بالبيظا حتى درنة وبالبلدة مسجد وغالبية أهل ليبيا على المذهب المالكي وهم لا يصلون ركعتي السنه قبل صلاة الجمعة كي لا يظنه القادم من خارج المسجد للصلاة في الجمعة انها انتهت فيرجع أو يحتار فيما يفعله، وهم يسبلون أيديهم في الصلاة اقتداء بالإمام مالك رحمه الله. وكما يقولون فان سبب ذلك ان الأمام مالك عندما تعرض للضرب من قبل الوالي حيث ابتلي دفاعا عن عقيدته وتحمل العذاب الشديد في سبيلها إذ لم يستطع رفع يديه فقلده اتباعه وبقيت ذراريهم على ذلك وفي الربيع تكتسي الجبال باللون الأخضر من جميع الأعشاب والنباتات التي تنبت في تلك البقاع فنجد من نباتاتها: النتش (البلان) والزعتر

والحنون والقيصوم والبصيل والقرنفل والنرجس ونجد الزيتون البري والبطم والبلوط والخروب .

ومن النباتات البرية والطبية الجعدة والشومر البري والميرمية ويسمونها (تفاح شاهي) والبلدة محاطة بكروم متنوعة الأشجار كبيرة الثمار من تين ورمان وعنب بشكل غريب من حيث حجمها عامة وأوراقها وثمرها خاصة ومن أكلاتهم الشعبية (الكسكسي: المفتول)، والمعكرونة، أما استعمالهم للأرز فقليل جدا وكما هو معلوم أن المنطقةالساحلية من حدود مصر - طبرق حتى حدود تونس -هي غابات متصلة على الغالب تتسع أو تضيق في مناطق مختلفة وأكثرها كثافة هي التي في منطقة الجبل الأخضر من طبرق حتى بنغازي أو بعدها قليلا حتى أجد-ابيا ويكثر فيها شجر الغار وهو يشبه الزيتون وله حبوب سوداء كأنها الزيتون لكنها حلوة ونبات الخوخ البري وهو كالميرمية وزهره أصفر يمصه الناس كأن به عسلا .وأنواع الزهور البرية المتعددة الألوان والأنواع وتسمع دوما نغمات وتغريد وصدح وزقزقة الطيور المختلفة وعواء الذئاب والثعالب حيثما تجولت ليلا ونهارا ويكثر ذلك كلما ابتعدت عن الطرق العامة وكما نقلت كتب التاريخ فإن معظم سكان السواحل من مصر وحتى المغرب الأقصى وبعد الفتوحات الإسلامية ثم هجرة بني هلال أيام الفاطميين وذلك ما يسمى بتغريبة بني هلال كانوا من قبيلة بني هلال بأفرعها وأفرادها الذين وكما وصفهم المؤرخون بأنهم كالجراد عددا وكان لهم الفضل بعد الله تعالى في نشر دين الله الإسلام العظيم في المناطق المجاورة لديارهم.

في مدينة درنا - ليبيا ١٩٧٥م

درنا هي أحدى مواضع انطلاق البطل الشهيد الفقيه عمر المختار رحمه الله لمهاجمة قوات الأستعمار الإيطالي الغاشم وفي العام الدراسي التالي نقلت إلى مدينة درنا والتي تبعد تقريبا عن القيقب شرقا ٢٥كم وعن القبة حوالي ١٠كم والقبة حوالي ٢٠كم شرق البيظا . والبيظا مرتفعة وجميلة جدا وبها مقام ويقال قبر (رافع الأنصاري) الذي استشهد في أحدى المعارك أثناء فتح المسلمين لليبيا وأمرهم بدفنه حيث تبرك ناقته والناس يحترمون مقامه كثيرا. ودرنا هذه كانت كالعاصمة الثانية للسنوسيين بعد طرابلس وبنغازي وتبعد عن بنغازي للشرق حوالي ١٦٠كم وغرب طبرق تقريبا بنفس المسافة مع ملاحظة ان القيقب على خط فرعي حوالي ١٠كم عن طريق درنة بنغازي وشمال البيظا حيث تأخذ طريقها المتعرجة بالإنحدار بين الغابات الكثيفة حتى تنزل إلى بلدة سوسة وهي

على شاطىء المتوسط وهي أثرية رائعة الجمال وشرقها منطقة مرقص في أحضان الجبال ويمر فيها وادي مرقص وقيل أن مرقص هذا حواري من حواري سيدنا عيسى على رسولنا وعليه وأفضل الصلاة وأزكى التسليم وهناك طريق منها للشرق مرورا بقرية الكرسي حتى تصل إلى طريق درنه تكسوه غابات كثيفة تطل على مياه البحر الأبيض الزرقاء الساحرة فدرنه نفسها. وفي العام الدراسي ٧٦/٧٥م باشرت العمل في درنة في مدرسة الفاتح إلى الجنوب من درنة وهي منطقة مرتفعة كالتل وتأخذ الأرض بالارتفاع حتى تصل إلى مروج تحيطها الغابات الكثيفة الأشجار تسمى الفتائح نسبة إلى الفتوحات الإسلامية ومكان المدرسة يسمى سي سيدي منصور وهو أحد الفاتحين المسلمين (إما صحابي أو تابعي من الأنصار رضي الله عنه - وإما تسمية المدرسة (الفاتح) فنسبة إلى الفاتح من سبتمبر (أيلول) وهو اليوم الذي قامت فيه الثورة الليبية ومدينة درنة مدينة متحضرة على شاطىء البحر المتوسط وهي سهلية وأطرافها من الجنوب جبلية وإلى الغرب منها شلال درنة الذي يجري طيلة العام صيفا وشتاء في منظر بديع ويجتذب الكثير من السائحين وتجري المياه في الوادي الذي يصب في البحر من الجنوب وتكتنفها البساتين ذات الأشجار الكثيفة ودرنة مدينة أثرية وطراز العمارة فيها عربي شانها في ذلك شان المدن العربية القديمة مثل دمشق والسلط والقدس والخليل حيث نظام العمارة على الطراز المملوكي والتركي خاصة الأسواق والمحال التجارية وتمتاز بمناخ معتدل صيفا وشتاء فلا برودة عالية شتاء وكنا نسير دون معطف تحت المطر شتاء لدفء الجو ولا حرارة مرتفعة صيفا بسب قربها من البحر ووقوعها على مرتفعات من الأرض تنحدر تدريجيا نحو أرض سهلة تتصل بالبحر وهي درنة القديمة وأسواقها تحتوي على جميع ما يطلبه الأنسان من حاجيات اساسية وكمالية وإما الأسعار فمناسبة وتحتوي على مساجد عديدة تمتد منذ الفتح الإسلامي وأكثر ما شدني هناك المقبرة الإسلامية ففهي كهف واحد أكثر من ثمانين صحابي وتابعي وشهيد من شهداء الفتح الإسلامي وبجانبهم قبرا الشهيدين زهير بن قيس البلوي وابو منصور الأنصاري رضي الله عنهم - وقصة استشهادهم كما يذكر التاريخ أنه عندما رجع زهير بن قيس البلوي قائد المسلمين في افريقيا للتزود بالرجال والعتاد والعدة لتقوية جيشه ضد الروم، فوجد في طريقه حشودا كثيرة من الروم يعيثون في الأرض فسادا ويذبحون ذلك العدد القليل من المسلمين الذين كانوا كحامية لتلك المدينة فنصحه من معه الا يلقي بنفسه وبمن معه وعددهم قليل في خضم بحر القوة الرهيب للعدو ولكن شهامته ورجولته

لم ترض إلا المنازلة ومواجهة الأعداء فاستشهدوا جميعا لهم الرحمة من الله تعالى وقد ترك ذلك القائد الشهم عبارته الخالدة ...تملؤ الأثير إلى يوم القيامة : والله لن أترك هذه البقعة وأنا أسمع امرأة مسلمة تبكي من العدو وكنا نكثر من الخروج في رحلات إلى البحر والغابات المجاورة أو المتنزهات داخل تلك المدينة الساحرة قدمت استقالتي للعمل في السعودية ثانية لسهولة السفر منها وإليها ولم اوفق في التعاقد معهم فراجعت الملحقية الليبية في بيروت ومنها توجهت إلى طرابلس الغرب .

في واحة غات الليبية ١٩٧٦م

وصلت طرابلس الغرب المدينة العريقة التي تقع على البحر المتوسط وهي جميلة تجمع بين عراقة الماضي وحداثة الحاضر وجوها جميل تحيط بها بساتين الزيتون والأشجار المختلفة وطيورها مختلفة الأشكال والألوان تطير أو تحلق أو تهبط على الأرض جماعات جماعات وأجمل ما تكون فوق البحر أو الأشجار أو الأعشاب صيفا أو ربيعا.

وبعد وصولي لمدينة طرابلس راجعت وزارة التعليم والتربية الليبية فعينت بعقد جديد في منطقة غات على الحدود بين ليبيا والجزائر وتشاد فعدت إلى الأردن لاصطحاب عائلتي إلى طرابلس ومنها إلى مدينة سبها والتي تقع جنوب طرابلس بحوالي ألف كيلومترا وإذا بها محاطة بصحراء شاسعة تتخللها بعض الواحات ولم نجد فيها فنادق للمبيت إلا وأحدا لا يوجد به متسع وبقينا في الشارع تحت لهيب الحرارة حتى تعرفت على مدرس فجأة ولمعرفته بصاحب الفندق فانه ألح عليه ليكثف العدد في كل غرفة حتى أوجد لنا مكانا. وسبها مدينة فيها كل ما تحتاجه من حاجيات وفيها الأسواق العامرة وان كان يغلب عليها الطابع الشعبي أما السفر إلى غات والتي تبعد عن مدينة سبها جنوبا بحوالي الألف كيلومترا فطريقها رملية وغير معبدة باستثناء ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ كم فقط والحافلات التي تنتقل بين غات وسبها فتصميمها يختلف عن الحافلات المعروفة في بلادنا فكانت بحيث يرتفع جسم الحافلة عن عجلات السيارة بحوالي قامة الرجل ولا يمكن الصعود إليها إلا بسلم يقودها سائقون مهرة من أهل البلدة أو من السودانيين الذين يعرفون المنطقة جيدا ومع ذلك كثيرا ما ضلت الحافلات طرقها بسبب اختفاء معالم الطرق كونها منطقة صحراوية ومن طبيعة الصحراء أن يكون رملها متحركا بسبب الرياح القوية وربما ماتوا إذا لم يعثر عليهم وحتى الطائرات وكثيرا ما تعرضت لحوادث بسبب سوء الأحوال في هذه الصحراء الرهيبة - أنها الصحراء الكبرى- أكبر

صحارى العالم . ويمتلكك العجب إذا قارنت بين الزمن الحاضر وما به من وسائط التنقل الحديثة وما بين الزمن الماضي حيث مجاهدي امتنا الذين كانوا يأتون من المدينة المنورة أو دمشق أو غيرها يقطعون الآلاف المؤلفة من الكيلومترات في هذه الصحراء الشاسعة متحملين وعثاء السفر والمخاطر والعطش على ظهور الأبل والخيل لينشروا دين الله فعليهم رحمة الله ورضوانه، فسافرنا بالطائرة وكم عانينا أثناء السفر من متاعب المطبات الهوائية في الطائرة وقد أضعنا حقائبنا ولكنا عثرنا عليها وبعد عدة أيام في أمانات المطار وعندما هبطت الطائرة في ارض المطار فإذا به صغير ومتواضع ومدرجه لا يستقبل إلا الطائرات الصغيرة فقط مثل D.C.9 و D.C.8 ونكاد تغمره الرمال عكس مطاري بنغازي وطرابلس الحديثين الكبيرين .

ولم يكن هناك مواصلات بين المطار والبلدة فحملنا حقائبنا وسرنا ولا يخفى كم هو صعب السير في الرمال كان معظم الناس من حولنا سود أو ضاربين إلى السمرة ويلبسون العمائم التي تغطي الوجوه ما عدا العين أما النساء منهم فيلبسن لباسا ساترا ولكن لا يغطين وجوههن بعكس الرجال وهؤلاء الناس هم الطوارق سكان هذه المنطقة بكاملها أي غات وما حولها ولهم امتداد في الجزائر وتشاد ونيجر ومالي وغيرها ويتزاورون وخاصة في القضايا العامة والوفيات لزعمائهم وقيل انهم ينتسبون إلى طارق بن زياد البربري رحمه الله ويسمون أنفسهم (تاركي) أي طارقي ولهم لغة خاصة لم نكن نعرف منها إلا المصطلحات الإسلامية مثل : الحمد لله - أزوم : رمضان - وإما بقية الكلام فغير مفهوم لنا مثل: الثومة - تشكرت ، اللان: موجود . وهم ملمون بالعربية ويتكلمها بعضهم بالاضافة إلى التركية والخطب بالعربية ويترجمونها آخر الخطبة للتاركية ويكتبونها بأحرف عربية وبيوتها متلاصقة قديمة مصنوعة من الطوب الترابي وشوارعها عبارة عن أزقة ضيقة جدا غير معبدة وحوانيتها صغيرة لاتحتوي إلا على بعض المعلبات أما الخضراوات والفواكه بها فمعدومة تماما ويلف تلك البلدة سكون وهدوء ولا ترى من الطيور فيها إلا عصافير الدوري وهي قليلة العدد وكانها ميتة . أما اللحم فيأتي إلى البلدة مرة في الأسبوع يوزع في مبنى البلدية وكذلك البندورة والتفاح معبأة في اكياس لأنها تاتي من طرابلس بالطائرة ويصطف الرجال للحصول على حصصهم والتي غالبا ما تكون في حدود اثنين كيلوغرام ليشتروها بسعر معقول .

أما الدجاج والأرانب فهي قليلة ونادرة الوجود وان وجـدت فغاليـة الثمـن وكذلك البيض وتحت ظروف هذه الحياة القاسية يضطر الكثير مـن المدرسـين للذهاب إلى طرابلس إما لتغيير المكان أو لإلغاء العقد وفي الصيـف كنـت تجـد البصل والملوخية وأكثر مزروعاتهم البرسيم علفا للأغنام القليلة التي عندهم وكمـا حصل لنا في سبها حصل معنا الآن في غات فلم نجد فندقا لننام فيه وأخذنا نبحـث عن المدرسين المغتربين وكان معظمهم يسكن في غرفة واحدة ومطبخ من الطوب الترابي وأرضيتها رمل وسقفها بوص مغطى بالأخشاب من نبـات العشـر غيـر منتظم الشكل ومعظمه مهترئ آيل للسقوط وكنا نرى النجوم في الليل من خـلال الشقوق التي في السقوف ولكن الله من علينا بمدرس لم يكن عنده اولاد فاستضافنا وكان نعم المضيف وبقينا عنده حتى ارتحلنا إلى بلدة البركت (اي البركة) .

في بلدة البركت الليبية ١٩٧٦م

كانت غات التي رحلنا منها إلى البركت مركز منطقة غات الصحراوية كلـها ففيها مخفر للشرطة ومستشفى وبريد ومطار ومنها للشمال الغربي بحوالي سـتين كيلومترا بلدة العوينات . ولقد ذكر أحد الرحالة المسلمين غات في رحلاتــه فـي العصور الوسطى وهي مهمة كموقع اتصال بين شمال وجنوب وشـرق وغـرب أفريقيا . وقد لاحظت بيتا جميلا به حديقة بشتى أنواع الفواكه والحمضيات لرجـل أصله من العراق جاء هو أو والده واستوطنا غات وبقيا فيها وذريتاهما . والنـاس طيبون لطيفون يخافون الله وأمناء وبعد مراجعة إدارة غات عينت في بلدة البـركت وهي الى الشرق من غات بحوالي سبعة كيلومترات وجميع الطرق من غات الـى المناطق التي حولها ترابية غير معبدة والطامة الكبرى أننـي بعـد أن وصلـت البركت ذهبت للبحث عن بيت فلم أجد وبعدها ذهبت للبحث عن المدرسين علـهم يساعدوني في إيجاد بيت وكان أحدهم قد استأجر بيتا على أمل إحضار زوجته مـع انه كان متواضعا إلا انه تنازل عنه لي عن طيب خاطر حتى تحضر زوجته مـن الأردن وبعدها إما أكون قد وجدت بيتا أو نسكن أخوين في بيت واحد ولكـن الله يسر الأمر وحصلت على بيت في شرق البلدة وكانني حصلت على كنز وكان هـذا البيت من احسن بيوت البلدة وقد أجرنا إياه مالكه كنخوة ونجدة لصديقه كبير البلـدة وأخيه إمام مسجدها إذ جهدا في مساعدتي في الحصول على بيت، وهمـا رجـلان فاضلان وكانا يدعوان المغتربين في كل مناسبة لهما وطعامـهم الرئيسـي هـو المفتول، ويكثرون عليه من الفلفل شأنهم في ذلك شأن أهالي ليبيـا جميعـهم فـهم يكثرون منه في طعامهم وكانوا يقدمون لنا الشاي كثيرا السكر غامق اللون كانــه

الدبس وكذلك القهوة الحلوة تكون ثقيلة جدا وبعد ذلك يحضرون لنا الشاي بالنعناع وهو أخف ثقلا من الأول ولكنه أحلى مذاقا منه وكنت أتضايق من ذلك وخاصة من النوع الأول وكثيرا ما اعتذرت عن شربه ومن المناظر الاسرة لديهم أعراسهم إذ تسير الجموع مساء يتقدمها الرجال والشباب والصبيان وخلفهم النساء وهم يرددون بأصوات شجية أهازيج وأغان دينية يكثرون فيها من تسبيح الله تعالى والصلاة على سيدنا محمد (ص) ترافقهم فقط الدفوف ومن طعامهم الشائع الفول المجروش مع الملوخية وتحيط الرمال ببلدة البركت من جميع الجهات وبعد حوالي الكيلومتر شرقا تبدأ الأرض تخف من الرمال وتبسط أمام الناظر سهول صلبة تكثر بها الحصباء الصغيرة وقد تظهر صخور بين الحين والأخر وهناك التلال والحراث المتناثرة والسير يتم على الأقدام لقلة السيارات.وقد ترى بين الحين والأخر سيارات أحدى المؤسسات الحكومية فتحملك وسائقي السيارات تغلب عليهم السرعة الزائدة (فتشيلك) للأعلى حتى يضرب رأسك السقف ثم تحطك بقوة للأسفل ومن المناظر المألوفة أن ترى أحيانا مجموعة أو مجموعات من أهالي النيجر أو مالي وربما من أهل البلدة يسيرون على أقدامهم أما عندما ترى واحدا أو اثنين فإما أن تمشي معهم على حذر أو تتجنبهم لما سمعناه من قيامهم بالسرقة والنهب والسلب ، ولكني لمست عكس ذلك منهم فهم طيبون وأمناء لأبعد الحدود .

وقد كان البيت الذي سكناه عبارة عن غرفتين متقابلتين مستطيلتي الشكل من الطوب الترابي وكانت الكهرباء بواسطة مولدات صغيرة أما الماء فكنا نلاقي صعوبة شديدة في الحصول عليه إذ نقف في طوابير طويلة لأن حنفيات الماء كانت ضعيفة جدا ونضع ما ننقل من مياه في جرار لاستعمالها في الطبخ والغسيل. أما البلدة فكان بها مدرسة إعدادية وفي ذلك الوقت كانت مشاريع إسكان حديثة وكثيرة قد بدأت في وسط وجنوب البلدة وكان في البلدة عيادة طبية أما في الحالات المتعسرة المعالجة يحمل المريض على سيارة إسعاف إلى مدينة غات. أما كيف كنت امضي وقتي في هذه الأجواء التي ذكرتها فكنت اخرج بصحبة العائلة إلى ظاهر البلدة وعلى الرمال نسير ونجلس وعلى أطراف البلدة توجد واحات بها أشجار النخيل تمتد مسافات طويلة وهي بعلية لا تروى بالماء ولا يعتني بها أحد والأشجار التي تسقى فإما من ابار ارتوازية أو من حفر قريبة القعر تشكل مستنقعات وثمر هذا النخيل صلب مع القليل من الحلاوة لقلة الماء والعناية بأشجارها وتتوسط الغابات سبخات وبعض المستنقعات أصلها ينابيع اسنة تحتوي على الضفادع والسمك الصغير ، وشرقي البلدة توجد أشجار السدر الكبيرة التي كنا

نستظل تحتها من حرارة الشمس اللاهبة وبعد غروب الشمس يطيب لك الجلوس على الرمال الصفراء ذات الحبيبات الصغيرة وكأنها سكر أحمر نظيف ويعتدل الجو بعد غروب الشمس وإما البيوت فحرارتها لاتطاق وهذا سبب خروجنا بكثرة من البيوت أو أن نضع الماء المثلج على الفراش حتى نستطيع النوم أو الجلوس عليها ولهذا السبب كثيرا ما أصيب المغتربون بالروماتزم (مرض المفاصل) ومن جفاف الأكل بالبواسير وأمراض المعدة وخاصة الإمساك وفي شمال البلدة وعلى مسافة تقدر بنحو عشرين كيلومترا سهول ورمال كثيفة ولكنها لا تحجب الرؤيا فترى أمامك سلسلة جبال تمتد من الغرب إلى الشرق وإلى مالا نهاية وهي مرتفعة جدا وتدعى جبال (أكاكوس) وفيها أشجار الدفلى والنخيل البري والخروب وبها حيوانات برية وهي قليلة جدا وإما جنوب البلدة وعلى مسافة تقدر بثلاثة كيلومترات تجد جبالا سوداء وبها دوائر عليها رجوم من حجارة سوداء لعلها قبور قديمة وللذكرى والتي تدل على مدى المعاناة التي عشناها فإني أذكر أن ابنة لي أصيبت بالجفاف فنقلت إلى مستشفى غات ترافقها والدتها وكنت أذهب يوميا لزيارتها مشيا على الأقدام خلال الرمال الكثيفة والشمس الحارقة والليل الدامس ولا تسل عن المعاناة التي لقيتها أثناء ذهابي وإيابي وفي أحدى المرات بينما كنت في غات حضرت الطائرة التي تحمل اللحوم والخضراوات وأثناء عودتي ليلا بما اشتريته مما كان فيها من أغذية تمزقت الأكياس التي تحتويها فسقطت على الأرض ولما لم يكن من وسيلة إلا أن أضعها في قميصي وبينما كنت سائرا شاهدت ضوء سيارة مقبلة نحوي فسررت كثيرا لعلها تحملني وعندما رآني سائقها فإنه وبسرعة مذهلة ابتعد عني هاربا بسيارته ولعله ذعر من المنظر فتابعت المسير مشيا على الأقدام حتى كدت أهلك تعبا وألما وعطشا.

ومن المآسي الإنسانية التي شاهدتها أثناء وجودي في البركت أن عششا مقامة من عسيب النخل في جنوب تلك البلدة الشرقي وهي متواضعة جدا ومع ذلك كان يسكنها أفارقة من النيجر ومالي وتشاد ونيجيريا وفي يوم من الأيام شب فيها حريق هائل آتى عليها جميعا وكم كان منظرا يدمي القلوب والنيران تنتقل من (عشة) إلى أخرى وبسرعة لا يصدقها العقل . فكأنك تشاهد يوما من أيام القيامة والسنة النار ترمي بالشرر في كل اتجاه فذعر الناس في بيوتهم وأنا منهم أمام هذا المنظر الرهيب المؤلم المفزع للنيران العاتيه فإن حرها قد وصلنا على مسافة بعيدة يلفح وجوهنا رغم أن الناس والأجهزة الإطفائية من البركت وغات قد هبوا لنجدتهم ومع الأسف لم يستطيعوا جميعا إيقاف النار ومع ذلك وبفضل من الله لم

يصبب أحد من هؤلاء الناس والذين يأتون من أقطارهم يهيمون على وجوههم فتراهم نائمين في الصحراء اللاهبة أو يستظلون بظل شجيرة وكم مات منهم جوعا وعطشا أو بعد أن ضل الطريق قبل الوصول إلى هدفه أما أنا فقد انتهت معاناتي دن تلك المنطقة إذ أنه: في يوم من الأيام سقط سقف أحد الغرف في المنزل الذي اسكنه بعد أن تكسرت أخشابه وبقينا في غرفة وأحدة عدة أيام حتى حضر إلى البلدة مفتش من الوزارة فعلم بما جرى من هدم للبيت الذي اسكنه وانعدام أمل الحصول على غيره وصعوبة إصلاحه خاصة أن عائلتي الكبيرة تصلى بنيران الشمس الحارقة فطلب مني أن اكتب طلب بالنقل فتمت الموافقة بالنقل إلى منطقة المرج في العام الدراسي ٧٧/٧٨م.

في مدينة المرج الجديدة / الجبل الأخضر ١٩٧٨م.

تقع مدينة المرج الجديدة شرق مدينة بنغازي ببعد مقداره ثمانين كيلومترا وتبتعد عن البحر المتوسط المحاذي لها شمالا باتجاه شرق غرب بحوالي عشرين كيلومترا وتبعد عن طريق درنة - بنغازي بحوالي كيلومترين فقط والمرج الجديدة هذه أقيمت غرب المرج القديمة بحوالي أربعة كيلومترات وبمحاذاتها على الشارع العام. وهي مدينة جميلة جدا وربيعها ساحر أخاذ يشبه طبيعة الربيع في بلادنا بأزهاره ونباتاته المختلفة أما مبانيها فهي مبنية على الطراز الحديث الأوروبي، شوارعها منظمة وبها حدائق عامة ففي كل حي حديقة ومستوصف وبها مدارس لمختلف المراحل ولكلا الجنسين وبها عدة مساجد وتكثر بها البقالات العادية في كل الشوارع وسوق مركزي واسع يحوي كافة أنواع المواد التموينية وحاجيات المنزل المتنوعة وإمامه مواقف كثيرة جيدة للسيارات وأسعارها رخيصة وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشعب الليبي يكره كثيرا عادة المجادلة في البيع والشراء ويكتفي بعرض السلعة فإما أن نشتريها وبسعرها المطلوب أو تمضي، وبها مستشفى كبير وتحيط بها المزارع وخاصة مزارع الخضراوات لجميع الأصناف وتتركز في الجهتين الشمالية والشرقية من المدينة أما جنوبها فسهول تزرع فيها حبوب وبساتين وأشجار وخلفها جبال مكسوة بغابات الزيتون والقيقب والخروب وتتخلل تلك السهول بيوت قديمة وحديثة وسط تلك المزارع والبساتين وأشجارها كبيرة وقديمة أما أهلها فأناس طيبون كرماء وقد تم تعييني في مدرسة (سيدي جبرين) جنوب المرج الجديد بحوالي سبعة كيلومترات وهذه المدرسة تخدم سكان عدة مزارع متناثرة وسط سهول خضراء فلا أروع ولا اجمل منها وطلابها يحضرون بواسطة السيارات من أماكنهم المتباعدة إلى المدرسة والتي تقع على طريق (الأبيار) التي تقع إلى الجنوب من المرج بحوالي ستين كيلومترا على مثلث

طرق أحدهما يأتي من المرج الجديد متجها للغرب حتى مدينة بنغازي والآخر يأتي من الشرق يربط قرى مغاريب القيقب بالابيار ومنها إلى بنغازي وكانت تلك المدرسة نموذجية تقع وسط سهول شاسعة كأنها بساط اخضر ويقابلها جبال ممتدة من الشرق إلى الغرب كلها خضراء ومن نباتاتها المشابهة لنباتات بلادنا : الجلثون- السعيسعة - الجلبانة - البخيرة (تشبه البازيلاء تؤكل بذورها خضراء أو مشوية على النار، الخرفيش والكعوب والكعمول، بلهجتهم (وهي الشوكة الزرقاء عندنا) وكانوا يقطعون ثمره بالسكاكين ويسلق ثم يؤكل ويكون طعمه كطعم البطاطا إلا انه ألذ منها بعد أن يرمى شوكه وإذا جف فانه يصبح كالخشب المتآكل لا يؤكل ويصبح شوكه أصفر جارحا ويتفتح عن أزهار رائعة زرقاء اللون وبذورها تشبه بذور ثمرة التفاح وتأكلها العصافير وإلى الشمال من المرج تقع عدة قرى مثل سيدي إسماعيل التي تؤدي بك إلى بلدة شحات وهي مرتفعة وتشرف على من حولها ومما يلفت الانتباه في تلك الديار كثرة أسماء القرى التي تحمل أسماء سيدي...وهي مقامات يظن أنها لفاتحين أو أولياء أو مجاهدين وما حولها عبارة عن مروج مرتفعة وتتخللها آثار هنا وهناك وهي عبارة عن أعمدة وحجارة متساقطة . وتنحدر شحات شمالا جهة البحر المتوسط تحف بها الغابات الرائعة الجمال وهذه البلدة أشبه ما تكون بمدينة جرش من حيث المدرجات والأعمدة التي تتوسطها والاتساع والجمال الأخاذ والأشجار الكبيرة وطراز المباني القائمة الآن وسكانها طيبيين وجمعها لأصالة الماضي وتطور الحاضر .وإلى الغرب من المرج توجد طرق سهلية بين غابات كثيفة وبساتين وكروم وقرى وتأخذ الطريق بالانحدار شيئا فشيئا ثم يشتد الانحدار وخاصة في جبل الباكور وهذا الجبل كثيف الغابات حتى تصل إلى سهل بنغازي وأوله قرية توكرة الأثرية الآهلة بالسكان والجميلة على طريق بنغازي المرج وهذا السهل أيضا مملوء بالشجيرات ومما يلفت النظر أن هناك الكثير من الملاحات المتناثرة وترى الملح أكواما وهو ملح نظيف يأخذ الكثير من الناس حاجيتهم منه وبعد عدة كيلومترات تصل إلى مدينة بنغازي تلك (المدينة المتوسطية الرائعة الجميلة وجوها المعتدل ومبانيها المزينة المنسقة والحياة فيها سهلة ميسرة وبها أسواق شعبية وأخرى حديثة وإما شاطئها فجميل رائع تجد به مختلف السفن والمراكب وترى الطيور البحرية بمختلف أنواعها تحط عليها أو تحلق فوقها وتكثر فيها أسواق الخضراوات والأسماك الرخيصة الثمن وفي وسط هذه المدينة يوجد قبر الشهيد البطل (عمر المختار) رحمه الله وبها مطار مدني وترى فيها أصالة الماضي ورقي الحاضر وتطوره ومن هناك تستمر الطريق لتمر من مدينة أجدابيا وبني الوليد ثم طرابلس بمسافة تقدر بألف كيلومتر تقريبا. وكنت أسكن في بيت امرأة عجوز وعدتها بالرحيل منه

بعد رجوعي من الإجازة وهكذا كان فاوفيت بوعدي ورحلت إلى قرية جنوب المرج اسمها (جردس) ببعد مقداره أربعين كيلومترا وطريقها بين غابات كثيفة وهذه القرية تحف بها بساتين التين والعنب والرمان وهي جبلية أثرية وأهلها أناس طيبون أما بيوتها فقديمة فعلى سبيل المثال كان بيتي ذو سقف من (الزينكو) مبطن بالكرتون ولكنه وسط جنة جميلة من التين والعنب والرمان وكنت أصحب الأسرة في رحلات مستمرة إلى الجبال والغابات والبحر وإلى المزارع الأخاذة وسط المروج الخضراء ومزارع الأشجار والخضراوات ومزارع الأبقار والدواجن التي نتزود منها بالحليب والعسل وبالبيض والدجاج وبأسعار رخيصة والمزارع هذه اعجز عن وصفها ولكن قليله يغني عن كثيره كما قيل فقد كانت مزارع سهلية نموذجية وأسعة تحتوي على مختلف الخضراوات والفواكه وبناء نموذجي يحتوي على حضائر للأبقار وأخرى للدجاج وبها محراث حديث لحراثة الأرض ويشرف على كل مزرعة خبير زراعي بين الحين والآخر. ولما كنت قد تعبت من الذهاب والإياب فطلبت النقل ولكن بعض الزملاء أقنعني بالسكن في المرج القديم والتي تبعد كما ذكرت عن المرج الجديد بحوالي أربعة كيلومترات والأولى منها أثرية قديمة قد وقع فيها زلزال مدمر في العام ١٩٦٣ فهدمت معظم بيوتها .

وقد الحق بها الزلزال دمارا واضحا فترى خرابات من بيوت كبيرة دمرت فأصبحت قبورا والتي كانت عامرة بأهلها وتحيط بها بقايا أشجار مختلفة ولا ترى فيها إلا السكوت الرهيب الذي يخيم عليها وسط الشواهد المتبقية لحضارتها التليدة القديمة ومن هذه البيوت تدل على حداثتها وضخامتها فترى البلاط والقرميد والمداخن والمواقد والأفنية تحيط بها الحدائق التي تحتوي على مختلف الفواكه من عنب وتين ورمان وكرز وبرقوق ولوز وزيتون وغير ذلك وقد قامت الدولة بهدم قسم من البيوت المتبقية حتى لا تسكن من قبل الناس خوفا من عودة زلزال آخر لتلك المدينة المنكوبة ولم يبق من هذه البيوت شباك أو باب فرحت أتجول لأتمكن من العثور على بيت يستصلح للسكن وأخيرا عثرت على بيت في وسط البلدة فأصلحت أبوابه ونوافذه وبنيت (كراجا) للسيارة وأوصلت لها الكهرباء وجهزتها بخزانات الماء وكنت أنا ذاك المغترب الوحيد فيها ويوجد بها عدة عائلات طيبة وكريمة وحول البلدة مزارع خضراوات ودواجن كثيرة بعلية ومنها مروي وأسعارها رخيصة وفي هذه الأثناء أصبحت أسرتي مكونة من أربعة عشر فردا فقررت العودة والاستقرار في ارض الوطن الأردن .

الباب السابع

في المملكة الأردنية الهاشمية

في مخيم البقعة في الأردن ١٩٧٩م

عينت في منطقة البلقاء في مخيم البقعة والذي يقع شمال مدينة صويلح بحوالي خمسة كيلومترات على الخط الواصل بين عمان ودمشق مرورا بصويلح فجرش فاربد فالرمثا فالحدود السورية وكلمة البقعة معناها الأرض المنخفضة والمنبسطة وتكون مجمعا للمياه المتساقطة من الجبال المحيطة بها من جميع الجهات صويلح من الجنوب ومن الشمال للمرتفعات المؤدية إلى جرش ومن الشرق شفا بدران ومن الغرب مرتفعات جرش والسلط وبها محطة أرضية للأقمار الاصطناعية ومخيم البقعة كبير يحتوي على كثير من المدارس ذكورا وإناثا ولمختلف المراحل الدراسية وإلى الجنوب من البقعة بلدة عين الباشا وبجانب عين الباشا بلدة صافوط الملاصقة لمدينة صويلح ومنطقة عين الباشا وكلها جميلة للغاية بأشجارها غنية بآثارها ومقالع رمل صويلح الزاهي المتعدد الألوان الجيد الخصائص للبناء وخلطه مع بعض الأتربة لاستصلاحها للزراعة ، وغرب المخيم للجنوب منحدرات جميلة يمر بها طريق إلى بلدة أبى جوزة قضاء السلط الرائعة الجمال وقرى أخرى حتى تصل السلط وسط غابات حرجية وكروم الأشجار المثمرة تتخللها البيوت القديمة والحديثة كثيفة تمر بها طريق صويلح البقعة جرش حتى تصل تلك الغابات بجرش فعجلون مشرفة على الغور وتتصل تلك الغابات أيضا شرقا بغابات وللشرق من المخيم المذكور ومباشرة قرى جبلية مثل موبص وأخرى تتجه نحو الشرق حتى الزرقاء وهي زراعية جميلة بها غابات وكروم.

في وادي السير ١٩٨٠م.

وفي العام الدراسي ٨١/٨٠ نقلت من مدرسة البقعة إلى مدرسة وادي السير التابعة لوكالة الغوث وبلدة وادي السير مصيف جميل تحيطها الغابات من كل جانب ويمر بها السيل المسمى باسمها من الشمال إلى الجنوب ويصب في الغور مارا ببلدة عراق الأمير الأثرية الزراعية الساحرة ومن هذا الوادي كان الناس يأخذون مياههم للشرب وللاستعمال المنزلي حتى سحبت اكثر مياهه إلى عمان ولإقامة المصانع من حوله والتزايد السكاني أخذت مياهه بالتلوث مع وجود

الاسماك الصغيرة والمتوسطة الحجم والضفادع والحيونـات المائيـة المتواضعـة المعروفة والتي تأخذ في النقيق وخاصة في الليل بشكل يملؤ جنبات الوادي وقـد كنت أشاهد روعة مياهه الرقراقة العذبة عندما كانت وادي السير قريـة صغـيرة حيث كنت أصحب الوالدة إلى منزل جدي الذي كان يسكنها في الخمسينات من هذا القرن العشرين الميلادي وكان يكثر فيه السمك وتحف بجانبيـة أشـجار الحـور والرمان والتين والعنب والجوز وترى غربي وادي السير قرى منها قرية بلال وأم الأسود تطل على الغور وهما عربي قرية النعيرات المقابلة لـوادي السـير مـن غربها خلف سيلها الساحر وهذه القرى جميلة وممتعه وفـي قريـة بـلال مقـام يقال:(أنه قبر بلال بن رياح رضي الله عنه مؤذن الرسول صلى الله عليه وسـلم) وتقع حارة القيسية شمال وادي السير متصلة بها وفي شمال تلك الحـارة وتبعـد عنها مسافة قليلة عين ماء يقال لها (عين الكرسي) وينبع منها سيل وادي السـير ويقابلها جبل الكرسي للشرق منها المكسو بالأشجار الحرجية الكثيفة وبها جحـور لحيوانات برية يقال أنها ضباع وثعالب وقد حفـت الآن كثـيرا بسـبب الزحـف العمراني من جهة ومن جهة أخرى كثرة الناس وعلى جبل الكرسي تقـع المدينـة الطبية وبين حارة القيسية والتغيرات طريق تأخذ للغرب حتـى تصـل الفحيـص وماحص ومنها طريق إلى صويلح وأخرى تتجه غربا إلى السلط مرورا بمنطقـة السرو ومن وادي السير طريق يمر إلى قرية البصة المجاورة وهي قرية جميلـة جدا وتنزل هذه الطريق إلى عراق الأمير وبها آثار قديمة من كـهوف ومغـاور أثرية قديمة جدا في الجبال وفيها انهدامات وبقايا جدران وتقع عراق الأمير بيـن جبال يمر منها سيل وادي السير الذي ينحدر إلى الغور وفي وسط البلـدة قصـر أثري يدعى قصر العبد تبلغ بعض حجارته حجم الغرفة العادية وفي البناء تمثـالين لأسد ولبؤة ماثلين إلى الآن وحولهما جراؤهما والبلدة بالغة الجمال فأشجار الحـور الباسقة ،حول السيل دائم الجريان تجلب الأنظار ولماعليها من أطيـار وعصـافير وبلابل وحمائم تحلق فوقها الصقور والنسور والخطاطيف مـن أنـواع الطيـور والفراشات في تغريد وزقزقة متناسقة منسجمة مع سحر الشجر وخرير المياه وفي فصل الربيع تكثر الأزهار المتنوعة وفي الصيف تكثر الثمار المختلفة من عنـب ورمان وتين وزيتون بالإضافة إلى الأشجار الحرجية في الجبال المتقابلـة حـول جانبي الوادي تزركشها وبكثافة من أعلاها إلى أسفلها ملتحمـة بأشـجار السـيل متشابكة متعانقة معا وعلى حافتي الوادي فوق المياه أما بيادر وادي السير والتـي كانت يوما (لدراسة الحبوب عليها) فاصبحت من احسن الأماكن المحببة للسـكنى

لطيب هوائها وحسن تنظيمها وفي أعلى البلدة جنوبا يقع (معهد وادي السير الصناعي والتابع لوكالة الغوث) وإلى الجنوب منها كسارات، فوادي الشتا ويقابلها مرج الحمام على طريق عمان – ناعور – الغور – القدس. ومن تلك الطريق طريق عدة إلى طريق مادبا وما يتفرع منها إلى الكرك والعقبة ومعان والطفيلة والشوبك والبتراء والسعودية ومنها مثلاالطريق الذي يمر بقرية أم البساتين فمادبا جنوبا وإلى الغرب من معهد وادي السير جبال تنحدر من الشرق إلى الغرب وتطل على أودية سحيقة حتى الغور ومن الطرف الشرقي للبيادر مفترق طرق، فجنوبا إلى ناعور فمادبا جنوبا وآخر للغرب نحو الغور ففلسطين وإلى يسارها طريق تتجه إلى عمان وآخر للشمال إلى صويلح ومنها طرق لعمان شرقا وللبقعة فجرش فالشام شمالا وآخر للغرب نحو السلط فالغور فالضفة الغربية أما المدينة الطبية الملاصقة لجبل الكرسي فصرح طبي رائع الأداء نعتز به ونفتخر وقبيل الوصول إلى مدخلها الذي هو جهة وادي السير بحوالي اثنين كيلومترا مفترق طرق آخر إلى بلدة خلدة وتلاع العلي (أصبحتا منطقتين سكنيتين رائعتين متجاورتين ومتلاصقتين) والطريق الموصول بين وادي السير وصويلح جيد محاط بالفلل الحديثة والكروم الرائعة والأشجار الحرجية الباسقة مدينة صويلح جبلية هواؤها عليل وهي مصيف ممتاز ومع أن طابعها ريفي إلا أن العمران قد غزاها وأصبحت مدينة عامرة تحوي عدة مصانع هامة على رأسها مصنع تجميع السيارات .ومن وسط صويلح كما ذكرت طريق يتجه شرقا وفي طريقها الشرقي يتفرع إلى قسمين يستمر أحدهما إلى عمان شرقا والآخر إلى الزرقاء مرورا بالجبيهة والتي تزهو بجيرة الجامعة الأردنية ومن الجبيهة أيضا يأخذ طريق إلى اليسار إلى مرج الفرس وشفا بدران وفي شفا بدران جامعة العلوم التطبيقية وفي طرفها من الغرب إسكان أبو نصير المطل على مخيم البقعة ويقابل جامعة العلوم التطبيقية طريق يؤدي إلى قرية الكوم لليسار وشمالها قرية رجم الشوك وهما أثريتان مرتفعتان جميلتان بكرومهما الكثيفة وأشجارهما الحرجية المثمرة وتنحرف من الأخيرة وإلى اليمين طريق لتوصلك إلى الزرقاء وعن يسارها طريق يؤدي إلى قرى جرش شمالا مرورا ببلدة بيرين وأخرى إلى قرية أم الرمان فصويلح غربا وجبالها صالحة للزراعة وكلما اتجهت غربا زادت خصوبة الأرض وكلما توجهت شرقا نقل خصوبتها تدريجيا والمزروعات في تلك المناطق بعلية ومنها ماكانت ما تسقى بماء سيل الزرقاء الذي تحف به أشجار الدفلى ونباتات البوص والأعشاب المائية وبه بعض الأسماك الصغيرة ومن بيرين وهي منطقة زراعية

بها بساتين وكروم جميلة تتجه طريق يسارا نحو الغرب لتوصلك إلـــى قريـة أم رمانة وهي عبارة عن كروم جميلة وهي ملاصقة لبيرين ومنها تتجه يسارا إلـــى منطقة ياجوز الأثرية بأشجارها المعمرة وغاباتها الناشئة وعمرانها الجديد الحديث أو للغرب إلى البقعة .

في مدينة الزرقاء

والزرقاء مدينة أثرية ومن أوضح معالمها الأثرية قصر شبيب وتجاوره مدرسة قصر شبيب الثانوية ويقال أن شبيبا هذا تبعيا حميريا وللشمال الشرقي من الزرقاء منطقة خو الأثرية وفيها مغاور وبيوت مهدمة وهي كما قيل من مـدن أو قـرى الغساسنة . والزرقاء مدينة كبيرة فيها الحياة سهلة ميسرة تجاورها الصحراء من الشرق وإلى الغرب منها مناطق بيرين ورجم الشوك وقرى جرش وإلى الشمال منها قرى بني حسن كالزنية وأم الصليح وبلسما والتي تمر منها طريق المفرق والرمثا وإربد وإلى الشمال الشرقي منها الظليل والخالدية وهـي علـى طريق الزرقاء إربد القديمة وقبيل الظليل مثلث يقابل بلدة الطافح جنوبه وطريق للشرق إلى الحدود السعودية والعراقية وإلى الجنوب من الزرقاء بلدة عوجان فالرصيفة فعمان وطريقٌ اخر إلى صالحية العابد فسحاب جنوبا للشرق ومن سحاب طريق الى الغرب إلى طيبة القيسية فمادبا ومطار عمان فالعقبة وأخرى لـلأزرق ومن وسط الزرقاء طريق يتجه إلى الشمال الغربي إلى بلدة السخنة وقبل بلدة السخنة إلى اليسار طريق يمر إلى جرش مرورا بالمصطبة والمدورة وكلما اتجهت إلـى جرش كلما تحسنت التربة والمناخ وأصبحت اكثر ملاءمة للزراعة ومن المصطبة ترى قرى جرش الساحرة وهي مناطق رائعة الجمال بغاباتها وبساتينها المشتملة على السرو والبلوط والخروب وأشجار التين والعنب والزيتون والرمان وغيرها ويتخلل هذه الأشجار أنواع متعددة من النباتات والأزهار البرية ومن جرش إلـى الجنوب الغربي غابات دبين وإلى الشمال الغابات الكثيفة والكروم والبساتين وبها محمية للحيوانات البرية وكلية للمعلمات وأهلها طيبون ومنها ترى قرى عجلون الرائعة وقلعة الربض الأثرية ومنها عنجرة وكفرنجة الخصيبتان وتكثر فيها الكروم ومنها طريق تتجه غربا إلى الأغوار الوسطى فالشمالية وأخرى للغرب لتوصلك لبلدان وقرى الكورة والتي تمر بها طرق تربطها حتى إربد شمالاً وهي كثيرة الغابات والكروم طيبة الأهل ولهواء والتربة ومنهما يصل طريق آخر يتجه نحو زمال فالغور وسط جبال ساحرة وللشمال الشرقي من الزرقاء منطقة الطافح وقيل أن بني هلال القيسية وفي رحلة تغريبهم قبل عدة قرون من نجد إلـى بلاد

الشام فمصر فالمغرب العربي قد سكنوا فترة في منطقة الطافح والسهول حولها وتحاربوا شراسة مع الأمير شبيب أمير الزرقاء وانتصروا عليه وقد سميت لطافح بهذا الاسم إذ كانت سيول عارمة مفاجئة طفحت جارة منها أعدادا كبيرة من بيوت ورجالات وخيول بني هلال ويجاور الطافح وللشرق وبلصقه سهل يسمى سايح ذياب نسبة الى الفارس الشهير ذياب بن غانم وهو وأبو زيد الهلالي والسلطان حسن من أبطال قصة وملحمة بني هلال الشهيرة على مستوى عربي وتستمر هذه الطريق في سهول جرداء يكثر فيها الغبار صيفا حتى تصل إلى مثلث تتجه منه يسارا إلى مزارع الشريف ناصر وهي عبارة عن سهول واسعة تروى بآبار ارتوازية وتحتوي على مزارع للخضراوات وبساتين غناء وفي هذه المنطقة قصر الحلابات الشرقي ويعود إلى الأمويين وبعده بعدة كيلومترات قصر الحلابات الغربي ويعلوه الحراب اكثر من الأول وهو أموي أيضا وتكثر عنده المزارع حتى تصل إلى الظليل وتستمر الطريق شرقا حتى الأزرق وهي عبارة عن واحات ساحرة الجمال تكثر فيها الملاحات وفيها محمية الشوملي لحماية الحيوانات البرية مثل الغزال وحمار الوحش والنعام وبرك بها اسماك وآثار قلعة قديمة ومن وسطها طريق يتجه شرقا إلى السعودية وشمالا إلى الجفورمن مسميات محطات خط أنابيب البترول مثل H4،H5،اب 61، ومنها إلى السعودية وتسكنها قبائل عدة وتقابل مزارع الشريف من الشمال الغربي بلدتا الخالدية العليا والتحتى فالطريق القادم من الزرقاء إلى الظليل- المفرق - الرمثا - الشام . وهذه القرية أثرية مرتفعة شبه صحراوية تشرف على سهول واسعة أخذت تغزوها المزارع المروية وبعد الظليل بحوالي أربعة كيلومترات قرية السبعاوية يقابلها وعلى سمتها شمالا بعدة كيلومترات قريتا الزعتري وأم الجمال موازيتان لطريق المفرق- العراق والذي يقع عليه عدة قرى العشائر الجبلية وبعد عدة كيلومترات من الخالدية العلْيا وعلى يسار الذاهب إلى المفرق قرية تغرة الجب الجميلة وتستمر الطريق شمالا حتى المفرق وهي مدينة جميلة ومرتبة وإلى الغرب منها تتحسن الأرض للزراعة ثم تتجه من جنوبها الغربي إلى بلعما وغربا إلى جرش ، جرش التاريخ والعراقة والجمال لها ولقراها ذات البساتين والكروم والآثار الساحرة الخالدة وبها جامعتا جرش وفيلادلفيا حيث تأخذ الأرض في التحسن وحتى الرمثا وإربد شمالا وكذلك وكلما اتجهت غربا ومن الزرقاء طريق تتجه شمالا إلى مصفاة البترول والهاشمية وبعد الهاشمية تنحرف يسارا إلى أم الصليح وغريسا من قرى بني حسن وتمتاز قرية غريسا بآثارها وأم الصليح بمزارعها وبساتينها التي كانت

تروي بماء وادي الزرقاء أوبعلا ومنها طريق إلى طواحين العدوان فقرية القنية وهي من قرى بني حسن فجرش وهي طريق صعبة لوعورتها ويقابل أم الصليح مخيم وبلدة السخنة ويقابل السخنة إلى الجنوب تقريبا بلدة أم الزيغان وتبعد حوالي ٢كم عن مثلث الزرقاء السخنة جرش وبعد أم الزيغان وللغرب بعدة كيلومترات توجد قرية دوقره ومنها تستمر الطريق إلى جرش وإلى اليسار فرعان للطريق أحداهما يؤدي إلى بيرين والآخر إلى العالوك حيث الغابات الساحرة والأراضي الزراعية الخصبة والكروم وإلى الشمال من الهاشمية بعدة كيلومترات قرية المزارع وبعدها قرية الزنية الجميلة الأثرية والزراعية وتكاد تتصل ببلدة بلعما وتكثر بهما المزارع والبساتين وللشرق منها قرى سما السرحان ومغير السرحان الجميلة وحولها الكروم والمزارع وإلى الشرق من الزنية الخربة السمراء وهي أثرية قديمة.

المدينة الرياضية في عمان: وهي صرح رياضي أردني رائد نعتز به ونفتخر وهي شمال غرب عمان وبجوارها قصر الثقافة والمركز الملكي للثقافة والفنون بأنشطتها الثقافية والفنية النشطة تتصل بمنطقة المدينة الرياضية من شرقها بجبل الحسين ومخيم الحسين فالنزهة فالهاشمي الشمالي فالمحطة فماركا فمخيم حطين - وعلى الطريق بين الزرقاء وعمان توجد منطقة عين غزال الأثرية والتي دلت الحفريات الأخيرة على وجود مدينة قديمة ولعلها من اقدم العالم وبها رسوم وجدران قديمة لا تكاد تظهر وتواصل السير إلى المحطة ويقابل المحطة مسجد صغير وجميل يسمى / مسجد الفتح فالهاشمي الجنوبي على اليمين يقابله جبل النصر فوسط البلد ويكونجبل القلعة على اليمين بآثاره الخالدة الجميلة ولحقب تاريخية متعاقبة والمطل على روابي عمان وجبالها وبجانبه جبل القصور فالحدادة فمخيم الحسين فالعبدلي فجبل عمان الذي يقابله الجبل الأخضر وبطرفه الغربي وادي عبدون ومن الشرق جبل نزال يقابله جبل النظيف فالوحدات فالجوفة فالنصر فالمحطة وفي وسط عمان المسجد الحسيني الذي بناه المرحوم الملك عبدالله بن الحسين الهاشمي وفي وسط عمان سقف السيل المعروف بآثاره وسوقه الشعبي وفي اخره من الغرب مثلث طرق إلى حي عبدون وإلى جبل عمان فوادي السير وهناك تفريعات تذهب إلى العبدلي وصويلح وتتجه الطريق إلى الجنوب حيث حي نزال على اليمين تدور ويقابله النظيف فالمريح كما ذكرت وبعد نزال جنوبا مفترق طرق أحداهما إلى وادي السير فصويلح ويعود إلى عمان والآخر على يسار

السائر إلى أم البساتين والطيبة وإلى مادبا وتستمر طريق عمان القدس الخليل إلى مرج الحمام يقابلها قرية أم عبهرة وتأخذ الطريق بالانحدار إلى بلدة ناعور مرورا بقرية العدسية ذات المياه العذبة والمناظر الجميلة خاصة ربيعا وصيفا والمناطق هذه تكثر فيها الإنهدامات وخاصة شتاء أما مناخ الغور فحار جدا صيفا دافئا معتدلا شتاء وإلى الغور تكثر الرحلات التنزهية من مختلف مناطق المملكة للإستمتاع بجوه الدافئ شتاء ونباتاته الجميلة المنظر الكبيرة الحجم وعلى الطريق قرية الرامة ومثلث يؤدي إلى اليمين إلى قرى وبلدات كريمة والكرامة فالأغوار الشمالية وغربا إلى جسر الملك حسين ومنه إلى الضفة الغربية ويسارا يوصل إلى البحر الميت والذي يرى من هناك وتوازي البحر الميت طريق الغور حتى العقبة مرورا بالحسابين جبال ملونة ساحرة تنعكس على زرقة البحر الميت.

<u>السلط</u>:السلط ذات الجبال العالية الساحرة والتي تشرف على الغور فتكون بين الجبال العالية والتي تشرف على الغور وفلسطين تحف بها غابات الأشجار المثمرة وغير المثمرة وتعتبر مصيفا رائعا ومن السلط ينحدر الطريق باتجاه الغرب محاذية للوادي السحيق ذي الخضرة الدائمة صيفا وشتاء ذلك هو (وادي شعيب) ويؤدي بك هذا الوادي الذي تتخلله طريق معبدة إلى الغور ومنها إلى القدس وسمي هذا الوادي نسبة إلى النبي (شعيب عليه السلام) علما أن النبي شعيب من مدين جنوب الأردن حسب النص القرآني (وإلى مدين أخاهم شعيبا) ولربما يكون نسبة إلى أحد الصالحين والمسمى بشعيب أو غيره والله أعلم.

ومن جنوب عمان ترى السهول الشاسعة الخصبة وتحاذيها الجبال الشرقية ويزد التصحر كلما توجهت شرقا، وغرب هذه الجبال يمر خط سكة حديد الحجاز من معان مرورا بالقطرانة فالزرقاء فالمفرق إلى الشام وهذا الخط الحديدي يقوم بنقل الركاب والبضائع والفوسفات والجبال الغربية كما ذكرنا سابقا كلها.قرى ومزارع وبساتين وغابات طيبة الهواء والتربة والأهل ويقود الخط الرئيس (طريق الزرقاء عمان) إلى الجسر المسمى جسر البيبسي وتستمر إلى مثلث يمينا إلى الرصيفة فعوجان فالزرقاء وقدما إلى عين غزال ثم إلى عمان ويسارا إلى الإسكان الجديد فنحو الجنوب قرب ادارة الترخيص للمركبات والشاحنات بمحاذاة المطار القديم فصالحية العابد حتى تصل إلى بلد أبي علندا ذات الأرض الخصبة وتتصل أبو علندا من الشمال بالقويسمة فالوحدات ويمر بين القويسمة والوحدات وادي أبو الرمم الذي يلتقي مع طريق الزرقاء القادم عن طريق ماركا فمثلث النشا بين جبل

القصور والهاشمي الشمالي مقابلا لنهاية الوادي المذكور واخره يكون بين جبل النصر والتاج وبجانب أبي علندة البلدة الأثرية الرقيم ومن آثارها حفائر ومغاور ويوجد ملاصقا لها من جهتها الغربية مسجد ومغاور أهل الكهف وفي هذا الكهف قبر وترى به كوة صغيرة فإذا نظرت فيه وجدت عظاما وجماجم لأناس وحتى يراها الزوار يضيء الحارس شمعة وترى فيها حجارة أثرية وأباريق وهي لصق قرية الرقيم فطريق يؤدي إلى المشيرفة ومنها إلى سحاب شرقا وقيل انه ذكر في كتب قديمة باسم رقيم قيس نسبة لقبيلة قيسية سكنته وهي بلدة ناشئة كثيرة المصانع والعمارات الحديثة الفخمة والمزارع والبساتين سهلية جميلة ومنها تتجه طريق إلى الجنوب لتمر وسط سهول متوسطة الخصب ومنها قرى الذهيبة وبساتينها وكرومها الساحرة ويمينا إلى قرية اللبن بآثارها الخلابة وإلى الجنوب منها قرية الطنيب وهاتان البلدتان تطلان على سهول واسعة تأخذ في التصحر كلما اتجهت جنوبا ونحو الشرق خاصة وإما جهة الغرب منها فمناطق زراعية خصبة التربة وقبالة الطنيب وهي قريبة جدا منها تقع جامعة الإسراء وترى وفي كل اتجاه الكروم والبساتين بين الفلل الساحرة ويحاذي طريق الإسفلت شرقا خط آخر للقطار وخلفها تمتد جبال من الشمال إلى الجنوب من العقبة حتى سوريا. والطريق الذي يتجه من الوحدات جنوبا فهو يمر من الجويدة مارا بالإذاعة والتلفزيون ومن دونها وعلى اليمين منها طريق آخر يمر برأس العين فناعور وثانية تتجه إلى المقابلين فناعور ويقابلها مرتفعات وادي السير الخصبة بغاباتها وبساتينها وإلى اليسار من هذا الطريق قرى / أم القطين وقرى العجارمة وهي منطقة خصبة ومن ناعور طريق يهبط إلى الغور فالقدس وثانية تتجه للجنوب مرورا بالقرية حسبان الأثرية المجاورة لقرية المشقر التي يوجد بها محطة أبحاث زراعية وسط سهول جميلة ورائعة الخصب كثيرة البساتين الكروم وفي قبالة المثلث المتجه إلى وادي السير من خط عمان ناعور تقع جامعة البنات وبعدها بعدة كيلومترات جامعة الزيتونة ثم يستمر إلى جرينة فمادبا وبعد قرية أم القطين يتفرع الطريق متجها إلى الشرق إلى أم البساتين والعال وتلتقي بطريق عمان مادبا والطريق الذي يمر من الجويدة تكون على يسار الطريق وطبية القيسية يمينا وبجانبها خريبة السوق ثم جاوا الأثرية والمقابلة لهما والمرتفعة على هضاب ومروج ساحرة الجمال ويقابلها اللبن والطنيب من الجنوب والذهيبة إلى

الشرق الجنوبي ثم قرية أم سالم للشمال الشرقي وإلى الشـرق سـحاب وتتصـل الطيبة وكما ذكرت بخربة السوق الأثرية والتي اتصلت الآن باليـادودة بغاباتـها الفسيحة ويوجد بها منتزه عمان القومي وقد غزتها العمارات الحديثة فقريـة أبـو جابر الأثرية وإلى الغرب منها أم البساتين وجنوبها العال وتستمر الطريق وسـط السهول الفسيحة الخصبة الكثيرة المزارع والبساتين ومنها طريـق يتفـرع جهـة اليمين إلى طريق عمان ناعور - العدسية - الغور . ويقابلها طريق يتجـه إلـى عمان (الدوار السابع) يعاكسه طريق يأخذك إلى مطار الملكة علياء الدولي مـوورا ببساتين وكروم ساحرة متصلة بمثلث مادبا [جنوبا وآخـر إلـى قريـة القسـطل] فزيزياء والتي بها مخيم للاجئيين الفلسطينين يسمى (مخيـم الطالبيـة) ومطـار الملكة علياء وعلى اليمين طريق يؤدي إلى قريتي نتل فأم قصير فمادبا ثـم تتجـه من زيزياء إلى بلده القطرانة ويستمر هذا الطريق وسط سهول صحراوية تتخللـها البساتين والكروم كلما توجهت جنوبا وهذا الطريق يتفـرع منـه طـرق إلـى أم الرصاص فمادبا وأخر إلى الكرك وقبل وصول الخط إلى مدينة معان طريق إلـى النقب فالعقبة وأخر إلى مدينة البتراء الأثرية العجيبة البنـاء فـهي منحوتـة فـي الصخر الوردي بيوتا ومقابر وخدمات وهي مدينة نبطية عربية وإما مدينة معـان تلك المدينة الصحراوية الجميلة فقريبة من الحدود السعودية وأهلها تغلـب عليـهم الطيبة وأما مدينة العقبة فهي ثغر الأردن الباسم على البحـر الأحمـر ذو الميـاه الصافية وأسماكه ومرجانه الرائع وهي الميناء الوحيد للأردن وشـريانه النـابض بالحركة وإما النقب فهو عبارة عن هضـاب وجبـال يغلفـها جمـال الصحـراء وسكونها. ومن مادبا تتفرع خطوط إلى كل من ناعور والكـرك وعمـان وفـي الطريق من مادبا إلى عمان تطالعك قرية أم رمانه ومعصرة الزيتونه البلدة الأثرية وعلى محاذاتها قرية القسطل الأثرية وبالقرب منها زيزياء المشهورة ببركتها لسقيا الحجاج من العهد الأموي وسهلها وسط سهول شاسعة تكاد الكروم والبساتين الغناء تغطيها وتزركشها العمائر والقصور القديمة والحديثة ويقابلها غربا باتجاه شـمال جنوب ونحو الغرب أيضا قرى العجارمة وتستمر الطريق إلى المأمونيـة والتـي تنقسم إلى قسمين شرقي وغربي وهي بلدة كبيرة متطورة .

أما مادبا تلك المدينة الجميلة والواقعة على هضاب تطل على سهول فسـيحة خصبة فالى الغرب منها قرى عدة تحتوي على الكثير من الآثار القديمة نـسياغـة

وجبل بنو الأثري والذي يشرف على الغور ومنه ترى فلسطين ويقال أن نبـي الله موسى (عليه السلام) وقف عليه وفي الوادي الذي يقع شمال الجبل تقع قرية عيون موسى نسبة كما قيل إلى سيدنا موسى عليه السلام وجبالها متصلة مكسوة بمختلف أنواع الأشجار المثمرة والنباتات مختلفة الأزهار والغالب على زراعة الأهالي فيها الحبوب مع انه بدأت تظهر الكروم الحديثة فيها وإلى الغرب من مادبـا وجنوبـها توجد منحدرات سحيقة كلما اقتربت من الغور وإما من شرقها وشـمالها فسـهول ممتدة واسعة وإلى الجنوب منها عدة قرى كالهلالية ودليلتا الشـخانبة والبلاونـه وهناك من مادبا طريق تتجه إلى حمامات ماعين المعدنية الشهيرة لمعالجة بعـض الأمراض منذ القدم ولها شهرة كبيرة في الأردن وخارجة وأصبحت الآن بالإضافة إلى العلاج فهي منتجع سياحي حيث الفنادق الحديثة والاستراحات الجميلة وبالقرب منها تلة زرقاء ماعين ويقال أن المثل الشعبي (بين حانا ومانا ضيعنا الحانا) يعود إلى مغارتين موجودتين موحشتين فيها احتار رجل في أمره ليلا ذهابا وإيابا بينـهما فراحت قصته مثلا وقرية دليلة الحمايدة والواقعة على جبل عال وهي أثرية قديمـة وهذه القرية تقابل بلدة لب ومنها ترى منطقة الجبل ومادبا ومليح والطريق تنحـدر بين الغابات والبساتين ومن مثلث لب مكاور إلى البحر الميت ولب أثريـة قديمـة وتمر الطريق منها شرقا إلى مليح فالكرك وإلى الغرب منها قرى صغيرة وهـذه الطريق تأخذ بالارتفاع بين جبال صخرية جرداء وترى فيـها الطيـور وخاصـة الحجل ومنها تشرف على مادبا والبحر الميت وترى منها وبعض المنـاطق مـن فلسطين وعلى بعد ٢٥كيلومتر توجد قرية عطروز ذات الآثار القديمة والأشـجار الكبيرة وعندما ترتفع منها قليلا ترى قرية الجديدة على اليسار فوق الجبل علـى اليمين وعن بعد ترى شرقا للجنوب جبال ذيبان وتؤدي بك الطريق إلـى منطقـة بها مغاور وصهاريج منحوتة في الجبل تشبه إلى حد ما البـتراء، إنـها مكـاور الأثرية ومنها طريق وعرة إلى البحر الميت وقرب لب يستمر الطريق في وسـط سهول فسيحة زراعية أخذت تنتشر فيها البساتين وبأطرافها من الشـرق للغـرب سلسلة جبال حتى جبال الموجب والممتدة من الشرق إلى الغـرب وجنـوب ذلـك السهل توجد قرية الغدير وهي جبلية وتستمر في الصعود إلى مليح وهي بلدة شبه صحراوية وأهلها طيبون ولون التربة مائل إلى البياض بها آبار ارتوازية ويوجـد نبع ماء للشمال منها من مليح قرب الطريق الترابية إلى الزعفران وهي للصخـور

وقرى أخرى أثرية وقرى أخرى حتى تلتقي مع طريق القطرانة وتستمر الطريق جنوبا إلى وادي الوالي الدائم الجريان بين جبال صعبة المرتقى وهي قرية أثرية إذ وجدت بها رسوما ومغاور ويمر فيها سيل جميل به سمك تحيط به أشجار الكينيا الباسقة والدفلى وهذا السيل خطير لوجود الحوامات به وقد أودى بأرواح الكثيرين حتى من مهرة السباحين ومن مياهه تروى المزارع والبساتين وبعد عدة كيلومترات يطالعك وادي الهيدان الذي يتصل بوادي الوالي وهو محاط بالمزارع والبساتين ثم تأخذ الطريق في الإرتفاع بين محطات التجريب الزراعية وبين أشجار الصنوبر والحمضيات والغابات لترتفع ثانية ثم تنحدر إلى ذيبان بين التلال والجبال وهي أثرية قديمة منذ زمن المؤابيين وجبال مؤاب نسبة إليهم ومن اثارها الموجودة بيوت مهدومة ومغاور ورسوم وتعلو هذه الآثار البيوت الحديثة بين الكرم والبساتين البعلية وإلى الغرب منها قرى متعددة وتأخذ الطريق بين جبال وعرة بين الحين والآخر حتى الغور أما شرق ذيبان فسهول تربتها حمراء خصبة ومنها طريق يتجه إلى الطريق الصحراوي بالقرب من ضبعة.

ومن ذيبان جنوبا تبدأ الطريق بالإرتفاع التدريجي حتى تصل إلى مروج فسيحة بها عدة قرى وهي أرض خصبة زراعية وبدأت البساتين تنتشر فيها والمزارع ثم تنحدر مرة أخرى من شفا الموجب وحاجبه إنحدارا سحيقا مجللا بالهدوء والسكينة التي ترى فيها الموت في كل لحظة فترى الحافلة في الوادي في حجم العصفور وتستمر هذه الطريق بالتعرجات لمسافة عشرين كيلومترا حتى تصل إلى الحاجب الجنوبي وهذه الجبال جرداء أما في الوادي حيث المياه الغزيرة شتاء وتنضب صيفا أو تخف فتجد بعض الأشجار الكبيرة كالسرو وتوجد المزارع القلية وبعض الرعاة وينحدر وادي الموجب تدريجيا من الشرق إلى الغرب حتى البحر الميت وهناك حجارة على الطريق بين كل عدة كيلومترات يقال أنها كانت علامات للإهتداء بها على الطريق منذ العهد الروماني وهذه الحجارة طويلة تبلغ طول قامة الرجل ويقال أن المهندس الروماني الذي حدد معالم الطريق (أنه كان يسير خلف حمار وهو ينثر الكلس حتى وضحت معالم الطريق) وفي عهد الإنجليز رصفت هذه الطريق وعبدت وفي عهد الحكومة الأردنية جرت توسعة وتحسينا لها وأثناء سيرك في هذا الوادي تسمع تغريد الطيور وعواء الثعالب وتكسوها الأعشاب والأزهار الساحرة ربيعا حتى تصل إلى تلال وهضاب تحتوي على قرى العمرو على الحاجب الجنوبي من وادي الموجب وهم كرماء طيبون ومن قراهم

أريحا وأبو ترابة ثم تأخذ الأرض في الإنحدار التدريجي لتصل إلى سهول رائعة الجمال فسيحة جدا وعلى يمينها جبل شيحان الأشم وهذه السهول خصبة إذا كان الموسم المطري جيدا أنها سهول الكرك حيث تنتشر البساتين والمزارع هنا وهناك حتى تصل إلى قصر الربة نسبة إلى قصر أثري بها وهي قرية جميلة وإلى الشرق منها قرى السماكية وحمود وغيرها وإلى الغرب منها فقوع ودمنة واليارت وجنوبا منها وعلى بعد خمسة كيلومترات تقع بلدة الربة الأثرية الجميلة المنظر وبها مدرسة زراعية وجنوبها تبدأ الأرض الجبلية حتى تصل إلى قرية المرج الناشئة الحديثة وتشاهد هنا وهناك المزارع والبساتين الحديثة وترى الكرك الشامخة تربض على جبال مجاورة ومدينة الكرك بها اثار تدل عليها ما تشاهده من جدران مهدمة وبقايا بيوت ومحاجرة قديمة وفي جنوب الكرك تقع قلعتها العظيمة فوق جبل شاهق يطل على أودية سحيقة للغاية والمبنية قديما ويحيط بالكرك سور أثري قديم ذو حجارة كبيرة ومن الكرك تشاهد قرى الكرك المتناثرة في كل اتجاه وترى فلسطين وجبالها وإلى الجنوب منها ينحدر وادي ابن حماد من الشرق إلى الغرب تحف به الأشجار المثمرة العالية والعيون والينابيع الجميلة عذبة المياه وهواؤها طيب وقرى الكرك وبمختلف عشائرها يفوح

منها الكرم والمروءة والنخوة. وقبيل مرج الكرك توجد قرية المنشية وهي ريفية جميلة على الخط الواصل بين القصر والكرك عمان ومنها طريق يمر بقرى عديدة حتى يصل إلى وادي اللطرون ومن المرج طريق يمر بعدة قرى مأهولة زراعية وأثرية حتى المزار ومؤته بين سهول وتلال خصبة كلما توجهت جنوبا وغربا أما عندما تتجه شرقا فالأرض تأخذ بالتصحر وفي المزار قبور الصحابة الشهداء رضوان الله عليهم وهم (جعفر بن أبي طالب. وزيد بن حارثة . وعبدالله بن رواحة) وصحابتهم وهناك ترى جامعة مؤته الشامخة ويستمر بك الطريق حتى بلدة الظاهرية وهناك بلدة في الخليل تسمى الظاهرية وإذا نظرت إلى الشمال والشرق ترى قرى كثيرة عبر السهول الساحرة والهضاب الرائعة مملوءة بالبساتين والمزارع والكروم وإذا نظرت غربا فترى جبالا وأودية سحيقة ومنها ترى البحر الميت وجبال فلسطين وإذا نظرت إلى الجنوب ترى جبال الطفيلة التي تمتد من الشرق إلى الغرب وهناك جبال جرداء جميلة بأعشابها وزهورها وطيورها وسكونها الرهيب وفي وسطها حمامات عفرى المعدنية التاريخية ومنها تنحدر تدريجيا لتصل بلدة خنزيرة (الطيبة)المترامية الأطراف المتباعدة المساكن بين البساتين وهي هادئة وأهلها طيبون وأراضيها بين الصحراوية والخصبة

ويوجد بها دوائر حكومية وخدمات جيدة وطرقها ترابية باستثناء بعضها ومن الطرق الترابية التي توصلك إلى الغور فالبحر الميت وفي شمالها الشرقي (طور أبي دراهم) القيسي في جبل منحدر يسمى الجلمة يقابله جبل يمتد من الشرق إلى الغرب وبعد هذا الجبل توجد قرية العراق (عراق الكرك) وهذا الطور يقع بين كروم ساحرة من التين والعنب والرمان والزيتون وبه من الزهور والأعشاب البرية الشيء الكثير وأبو دراهم هذا هو جد أو أخ عشائر (البطوش)والطبيشات في الأردن وفلسطين وجد لعدة عشائر في دورا الخليل واللافت للنظر أنه تكثر في بلادنا بلدان كثيرة تبدأ بعراق وهي تعني: الجبل الغليظ المرتقى والجبل الصغير وموضع والسبخة تنبت الطرفاء والجبال الرقيقة الرمل المستطيلة مع الأرض أو المكان المرتفع . [القاموس المحيط]

أما البحر الميت والذي ذكرناه كثيرا فهو مكان قوم لوط الذين أبادهم الله بسبب كفرهم وإتيانهم الذكور من دون الإناث وهذا البحر شديد الملوحة لدرجة أن طعمه مرا ويحتوي على كثير من المعادن المذابة وكذلك لا يعيش فيه نبات ولا حيوان لشدة ملوحته ولقد رأيت بجانب البحر الميت مياها تنز وهي عذبة المذاق في جهته الشمالية وقد وجدت اثار في المغاور التي تقع إلى الشرق منه ورقاع من جلود الغزلان مكتوب عليها وكان يسمى (بحيرة زغر) وإلى الغرب منه جبل أصدم الملح والذي تؤخذ صخوره وتطحن وتنقى وقد كان في منطقة القصيم صخور ملحية تؤخذ وتطحن كصخور جبل اصدم وهذه الطريقة لا تجعل الملح نقيا بل تتخلله بعض الشوائب الرملية والترابية وغيرها ومن غرب البحر الميت تبدأ أراضي فلسطين ومنها أراضي منطقة الخليل وفيها عشائر عدة منهم يسميهم البعض عرب برية الخليل حتى تصل بلده بني نعيم وقبل أن أنهي رحلتي هذه يجدر الإشارة إلى حجر مؤاب بذيبان والذي سجل عليه المؤابيون وقائع تاريخية مهمة وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس.

في مدينة إربد

إربد عروس الشمال مدينة سهلية منظمة جميلة تجمع بين أصالة الماضي وتقدم الحاضر ، أرضها زراعية بعلية خصبة تزهو بمستشفياتها ومصانعها وبمدينة الحسن الرياضية وجامعتي اليرموك والعلوم والتكنولوجيا وكلية التمريض وكلية المعلمات وعدة كليات أهلية وجامعة اربد الأهلية وبخدمات حياتية جيدة وأهلها طيبون وهي بلد الشاعر الأردني الفذ عرار مصطفى وهبي التل الذي تغنى للوطن والأمة والحب وقضايا الإنسان وقرى إربد كثيرة تنتشر في سهولها

وهضابها وجبالها الشاسعة الخصبة وهي مثلا وللغرب من إربد قرى قم وقميم في مروج مرتفعة جميلة تكاد تغطيها الأشجار المثمرة والبساتين والحقول والكروم ومنها تأخذ الأرض في الإنحدار تدريجيا لتصل إلى بلدة كفر أسد وهي زراعية خصبة مملوءة هي الأخرى بالكروم والحقول وتحيط بها الغابات الكثيفة الأشجار من البلوط والزعرور والخروب والعبهر (تستخدم منه حبات للمسابح وورقه أخضر مخملي غزير وحباته كحبة الحمص سميكة بداخلها نواة صلبة تنثقب عندما تكون خضراء غضة وتجفف لتنظم في خيوط تكون مسابح) وغيرها عدا أنواع الأزهار والنباتات البرية وأصناف الطيور والعصافير وعندما تهبط إلى الغور ترى الأشجار الباسقة مثمرة وحرجية وبساتين جميلة وكروم على رأس أشجارها الحمضيات خاصة البرتقال والليمون والبوملي واليوسف أفندي والكرفوت ومزارع الخضراوات والموز تسقيها قناة الغور الشرقية ورغم حرارة الجو وشدة البعوض إلا أنك تكون مسرورا بمناظرها الخلابة ومقامات الصحابة والتابعين (رض) والذي توفي منهم قسم كبير بطاعون عمواس الشهير في التاريخ ومنهم أبو عبيدة عامر بن الجراح وضرار بن الأزور وشرحبيل بن حسنة ومعاذ بن جبل (رض) أثناء فتوحاتهم لبلاد الشام وقبورهم في منطقة تمتد من الكرامة حتى الشونة الشمالية (هذا بالنسبة للغور وهم كثرة أيضا في غيرها من ديارنا المقدسة المباركة) وقرى إربد تنتشر في سهولها وهضابها وجبالها متصلة بالرمثا وعجلون والغور والحدود السورية والمفرق زراعية ساحرة خصبة تزركشها الآثار والكروم والبساتين وأهلها طيبون .

الباب الثامن

في سوريا ولبنان ومشاهدات منهما

زرت سوريا ولبنان زيارة سريعة والان أسجل مشاهدا مما رأيته هنا لها بالقدر الذي سمح به وقت الزيارة إلى القطرين العزيزين.

بعد أن تتجه من الرمثا إلى الحدود السورية الأردنية شمالا تطالعك سهول واسعة مزروعة بالحبوب ومزارع الخضراوات وحتى تصل إلى تلال تأخذ بالإرتفاع إلى أن تصل مدينة درعا وهي مدينة عريقة من مدن الغساسنة العرب وحولها كثير من القرى المبنية من حجارة سوداء كبناء بلدة الأزرق في الأردن وكلمة الأزرق نفسها تدل على السواد ويعود السبب لأن حجارة تلك المناطق سوداء بركانية ومعظم سكان تلك المنطقة يعمل في الزراعة صغارا وكبارا و رجالا ونساء ويمتازون بالمهارة واستغلال المواد الخام المتوفرة لديهم لإعادة صياغتها بشكل جميل فهم أناس عمليون وأنت في سهل حوران متجها إلى دمشق يطالعك إلى الغرب جبل الشيخ المكسو بالثلوج صيفا وشتاء ثم تمر بقرى كثيرة من أشهرها بلدة الشيخ مسكين والكسوة وكذلك صنمين ثم تصل إلى دمشق الفيحاء فتسحرك غوطتها الساحرة بأشجارها المثمرة كالمشمش والتوت والجوز وغيرها وقد كانت عاصمة بني أمية الدولة العربية الإسلامية ومقصد الشعراء لهم من كل مكان فيذبجون لهم المدائح وعاصمة الفتوحات الإسلامية ومهما قلت وأجدت في دمشق فلن أوفيها حقها تلك المدينة التي ترى فيها البناء الحديث والقديم يتعانقان في انسجام رائع وان أنسى لا أنسى نهرها الخالد بردى ومع أن هذا النهر الذي أجاد الشعراء في وصف جماله نراه الان وقد تلوث بفعل التكاثر السكاني من جهة وانتشار المصانع عليه من جهة أخرى ومع كل ذلك يبقى الشاهد على عظمة هذه المدينة وتاريخها العبق بكل الأمجاد العربية وشاعرنا الكبير (أحمد شوقي) لم يجد سلاما يهديه إلى دمشق إلا السلام المعطر بصبا بردى :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

ومما يشد الزائر لهذه المدينة روعة أسواقها العريقة ومنها سوق الحميدية وهذه المدينة بها جامعة دمشق العريقة بكلياتها المختلفة وفي شمالها جبل قاسيون ومن معالمها البارزة المسجد الأموي والذي بني زمن الخليفة الأموي الوليد بن

عبد الملك وهو ايه من الجمال والهندسة وترى فيه عربة قديمة ضخمة يقال أنها كانت تنقل الحجارة الذي بنى فيها هذا المسجد الأموي والحياة فيها نشطة وفي متناول الجميع لرخص أسعار السلع فيها في ذلك الوقت .

ومن معالم دمشق المتحف الحربي وقبر صلاح الدين الاموي ومعرض دمشق الدولي وبها مطار حديث وفيها مقام يقال أنه مقام السيدة زينب بنت الحسين رضي الله عنهما علما أنها مدفونة في القاهرة وإلى الشرق من دمشق قريتي جوبر وزملكا التي تحتضنهما الغوطة ومبانيها شعبية وإلى الغرب من دمشق تطالعك قريتا دمر والهامة والتي يقول فيها شوقي:

والحور في دمر أو حول هامتها   حور كواشف عن ساق وولدان

نعم فإن تلك المنطقة مشهورة بشجر الحور ذي السيقان العالية والأشجار المثمرة كالمشمش والدراق والخوخ والجوز وغيرها وتستمر الطريق غربا فتمر من بين الجبال حتى ميسلون تلك المنطقة التي وقعت فيها معركة ميسلون التي استشهد فيها المرحوم يوسف العظمة وإذا سرت إلى الشمال متوجها إلى حمص والتي فيها قبر المجاهد صاحب رسول الله صل الله عليه وسلم (خالد بن الوليد)رضي الله عنه ويمر فيها نهر العاصي والذي تحف به الخضرة والجمال ومنها إلى حماه وسط سهول شاسعة والتي تمتاز بأشجارها المثمرة وخاصة المشمش ومختلف أنواع الفواكه وتستمر في السير شمالا حتى تصل إلى حلب الشهباء وأثناء الطريق تطالعك القرى الزراعية المتناثرة هنا وهناك على جانبي الطريق وعندما تصل إلى حلب فإنك تشاهد العراقة في بيوتها وتنتشر فيها الحدائق الغناء واثار كثيرة وسهول شاسعة خصبة وفي هذه السهول ترى بيوت الشعر والخيول والتي تذكرك بفرسان بني حمدان وعلى رأسهم سيف الدولة ووقائعه مع الروم وشاعره الفارس ابن عمه الأمير (أبو فراس الحمداني) وفيها حركة دائبة وجوها لطيف رائع كما وتتذكر فيها إمارة بني عقيل بن كعب من بني عامر من قيس عيلان والذين شارك أبناؤها الحرب مع سيف الدولة وبني حمدان ودولة بني مرداس القيسية وأهل هذه المدينة تغلب عليهم الطيبة والكرم والشجاعة وهم يحافظون على لباسهم العربي التقليدي كباقي العرب الذين يعتزون بهذا اللباس الذي يربط الماضي بالحاضر وإما نساؤها فيلبسن لباسا ساترا لجميع الجسم بما فيه الوجه واليدين وفي هذه المدينة توجد قلعة حلب وهي مباني أثرية كثيرة تتربع على جبل أشم ويحيط بها خندق من جميع الجهات ولها جسر يوصلك إلى باب ضخم ليدخلك إلى وسطها وكأنك تسير على درج وهي عالية جدا وهي مباني

قديمة عملاقة وفي أحد السراديب ترى الكوة التي كان يستعملها الرماة للدفاع عن
هذه القلعة وبالقلعة ابار لتخزين الحبوب والزيوت وفيها ابار وكانوا يستخدمونها
لإعدام المجرمين وهي قلعة رومانية جددت كثيرا في العهود الإسلامية المتتالية
وقد قيل أن بها مكانا لبقرة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) والمسماة بالشهباء كان
يسقي الفقراء من لبنها فسميت المدينة باسمها والله أعلم وإذا نظرت من على تلك
القلعة وفي جميع الإتجاهات ترى السهول الواسعة المنظر يكتنفها العمار في جو
هادئ منعش وشمالها منطقة الحدود مع تركيا ، وفي سوريا تكثر المصائف
كالزبداني ومنطقة الجزيرة الفراتية وغيرها وكلها آية في الروعة والجمال لما
أضفته الطبيعة هناك من جو معتدل عليها ولما يوجد بها من غابات طبيعية كثيفة
الأشجار المتنوعة والمتعددة الأصناف ولينابيعها الأخاذه وجزرها الساحرة وإن
كانت صغيرة الحجم والبساتين الغناء والكروم الزاخرة بشتى أنواع الثمار والفواكه
وطيب أهلها وفي سوريا عدة جامعات في طليعتها جامعتي دمشق فحلب وعدة
كليات تعليمية واثار ومتاحف قيمه لحقب تاريخية متعددة هامة ومنتزهات لاحصر
لها ومسارح ومكتبات كثيرة جدا ومصانع ومعامل قديمة وحديثة لمختلف متطلبات
الحياة ومن اهم معالم دمشق عين الفيجي العذبة التي تسقي مدينة دمشق والمتحف
الحربي ومعرض دمشق الدولي ومجمع اللغة العربية بدمشق وفي عدة مدن
سورية خاصة حمص ودمشق مخيمات لأهلنا من الشعب العربي الفلسطيني كما
هو في عدد من الدول العربية الشقيقة كلبنان والعراق والأردن الحبيب بالإضافة
إلى تواجدهم في كافة بقاع الأرض.

الباب التاسع

تنويه ورسائل

وبعد ، عزيزي القارىء فهذه جولة سريعة قمت بها إما بحكم الميلاد كدورا وقراها وإما بحكم الزيارة للراحة والأستجمام وإما للعمل كما في السعودية وليبيا وإما للإقامة كالأردن أو بسبب زيارات ميدانية قمت بها لاصطياد المعلومة من مصادرها كما في قرى إربد والأغوار والكرك والطفيلة ومادبا وغيرها من أجزاء وطننا العربي الكبير وليعذرني قارئي إن مررت على دياره ولم أعطها حقها من الوصف وكذلك الأجزاء الغالية على قلبي من ديار العروبة الواسعة والتي لم يكتب لي زيارتها لأسباب لا تخفى على أحد كتباعد أقطار العروبة وظروف العمل ومشاكل الأسرة وكم تمنيت ان تطأ قدمي كل ذرة من تراب الوطن العربي كل قرية وكل مدينة وكل معلم من معالمه أو مزرعة من مزارعه وكم أنا مشتاق للنبش في الكتب واستخراج تاريخ كل قرية وكل مدينة وكل بادية ولكن عذري في ذلك أن ليس بالإمكان أكثر مما كان وقد قال الله تعالى : (لايكلف الله نفسا إلا وسعها) فهذا ما اتسع له وقتي وهذا ما استطعت التقاطه مع عامل النسيان الذي أفقدني الكثير الكثير من الكتابة عن ماثر أمتنا الماجدة لطول الوقت وتباعد الأزمان أكرر أسفي لكل واحد منكم وكم أكون شاكرا لمن يزودني بالمعلومة الصحيحة أو تصحيحا لمعلومة وردت في هذا الكتاب ولم تكن متعمدة مني أو استهانة بها فكل قرية وكل مدينة وكل بادية في وطننا الكبير هي لي وأنا منها وانا على استعداد لنشر أو تصحيح أية معلومة يراد إضافتها أو تصحيحها وذلك في الطبعات القادمة بمشيئة الله وان كان في العمر متسعا لذلك على العنوان التالي:

الزرقاء البريد التجاري ص.ب.٥٤٧٥ الرمز البريدي ١٣١١١

ت٣٨٦٤٤٩٨

المؤلف أحمد موسى صالح الفسفوس

والله نسأل السداد ، والمعذرة من كل منكم عن أي خطأ في هذا الكتاب وليكن قارئي العزيز على علم أكيد بأن ذلك لم ولن يكون مقصودا لذاته بل لقصور ونقص لدي في المعلومة أو التوثيق من مصدرها بل هي معلومات وردت بناء على معلوماتي واجتهاداتي الشخصية المبنية على مشاهداتي وهذه هي طبيعة

الإنسان يصيب ويخطىء والفضل لكل من يحـاول تصحيـح الخطـأ ويزودنـي بالمعلومة الصحيحة .

هذا وإن حبي لديار العروبة كاملة والتي تمكنت من زيارتها خاصة فكتبـت عنها يدفعني دوما إلى متابعة أحوالها والسؤال عن أخبارها لأجدها والحمد لله قـد تطورت وتحسن حالها كثيرا فيما بعد فأعزها الله واهلها هذا وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة من الأستاذ سعدي عبد الرازق القيسي من العراق إلى الأستاذ خضر الزواهرة/ المكتبة العامة امانة عمان

كاتب من الأردن العزيز .. أب لثمانية عشر ولدا ..واربعة عشر كتابا ومخطوط جئت للاردن العزيز من العراق الحبيب ، تدفعني رغبة جامحة - رغم ظروف الحصار الجائر على قطرنا الأبي - للتعرف على رجل كتب عن قبائل بني قيس كتابين جعلاه ذا شهرة واسعة ليس في الأردن فحسب ، بل وفي أكثر الأقطار العربية - وما أنا إلا دليل على ذلك - وكانت رغبتي في مقابلته - وأبوح لكم بسري - انني تأملت في التعكز على شهرته ، بأن يشاركني في كتاب عن أعلام قيس أجمع فيه ما اجهدت نفسي في إعداده في العراق إلى مالديه عن اعلام هذه القبائل في الأردن وفلسطين لتكون محاولة للتعارف بين الأخوة في البلدان الشقيقة - (وإن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقلت في نفسي إن هذا الرجل قد نال من الشهرة حتى أن كتابه الذي أهدانيه الأستاذ مؤيد عبد القادر سكرتير جريدة الجمهورية الغراء - مشكورا - والذي ظل يتداول بين القيسية في العراق حتى تمزق ، لابد أن يكون ميسور الحال والمجال فينقل مسودات كتابي إلى بياض الطباعة فيظهر إلى النور -

ولأني أجد في الهاتف دليلا على البحبوحة وأن الرجل كتب عنوانه ورقم هاتفه على كتابه ، نقلته إلى مفكرتي وقررت عند وصولي للأردن العزيز أن أهاتفه وسيأتيني بسيارته الفارهة ويقودني إلى قصره العامر وهناك سأعرض عليه ما عندي و.. و..

ولكن خاب أملي اذ افتقدت الرقم فلم أجده في متاعي . وقلت لابأس فسأجد كتبه مبثوثة في عموم المكتبات التي تزخر بها مدينة عمان الجميلة وفوجئت انني لم أعثر على نسخة واحدة - قلت في نفسي : أبسط يا عم هذه كتبك بطبعاتها المتعددة قد نفذت عن اخرها وازداد شوقي لرؤية الرجل والتعرف عليه .

وقرب الجامع الحسيني مكتبة عامة تابعة لأمانة عمان الكبرى قلت سأجد فيها ضالتي فدخلتها على وجل . واستقبلني رجل هش بش استقبلني بكل ما عرف من حفاوة الأردنيين .. وأهلا وسهلا ومرحبا . قلت سيدي أنا من العراق اسأل عن كتابي قبائل بني قيس وازداد الرجل ترحابا واكراما . وليس ذلك بغريب فهي أخلاق الأردنيين عامة والمكتبيين المخلصين خاصة.

وأسرع الرجل بنفسه للبحث في أدراج الفهارس ودعاني معه إلى أرفف المكتبة ليستخرج لي اكثر من ثلاثة كتب كلها للمؤلف بل وتلطف بمجموعة من الأوراق للكتابة عليها . انه الأستاذ خضر عبد اللطيف الزواهرة رئيس قسم الاعارة في المكتبة - كثر الله من أمثاله - ولكني لم أجد رقم الهاتف وسرعان ما بحث الرجل في مضان مفكرته، وقال لي إن الرجل صديق وقدم الرقم مشكورا .

وزولت الأرقام فجاءني صوت امرأة عجوز تقول : عندما تصل إلى مستشفى ابن سينا في الزرقاء ، إسأل أي واحد وسيدلك علينا فالأستاذ غير موجود الان - قلت أي شهرة نالها ليعرفه أي واحد؟ وصرت أتصور الرجل حتى وصلت الزرقاء . وهناك قالوا إن بيته في حي الإسكان مقابل مستشفى ابن سينا الأهلية . قلت نعم ياعم لا شك إن قصرك على إحدى الروابي التي تناطح سحاب السماء .

وعندما نزلت عند المستشفى سألت وأحدا من المارة عن الأستاذ قال لي نعم انه في اخر ذلك الدرب الضيق المنحدر إلى هوة بعيدة ..! ما هذا ؟ وأنا أظنه في رابية أعلى من المستشفى ؟ ونزلت اقاوم الأنحدار إلى الهاوية وإلى اخر بيت . وإذا به بيت بسيط لا يزيد على مائة متر مربع في بناء لا أدري ما أقول فيه ...

واستقبلني الحاج موسى وهو شيخ تجاوز التسعين محدودب الظهر اختلطت علامات البساطة بامارات البشاشة والطيبة . قلت سيدي هذا بيت الأستاذ أحمد؟ قال نعم يا بني تفضل إلى المضافة فانا بانتظارك مذ (خابرتنا) وسيصل أحمد فلا زال في المدرسة . وإذا بالشيخ الوقور على كبر سنه يعرف العراق وما يحيطه من حصار جائر ويدعو الله مخلصا أن يمن عليه بالنصر والفرج وشكرته على هذه المشاعر النبيلة وقلت إن هذا الأسد أبو ذاك الشبل الذي طال انتظاري لرؤيته .

وقرب الإفطار في مساء يوم من أيام رمضان المبارك اطل الرجل . الأستاذ أحمد . ودلائل التعب والإرهاق بادية على قسمات وجهه. ولكنه استقبلني بحرارة لا تتناسب والتعب الذي يلفه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه اين سيارته؟اين كتبه؟ لقد سمعت الأذاعة الأردنية تتكلم عن مؤلفاته وبرنامج الريف والبادية التلفزيوني يستضيفه والشيخ حمد الجاسر يراسله والشيخ محمود بري رئيس قبائل قيس في حلب يعتز به. ومهتمون من ليبيا وفلسطين ونجد وغيرها يزورونه ويراسلونه مقدرين علمه وشخصيته وها انا من العراق واذهلني الرجل بحق .

وجاء الإفطار - بعد الصلاة - ومعه الترحاب والإلحاح : كل يارجل ، هذه والله . بل هذه وهذه ايضا.. وانا في حيرة من امري . وبعد الإستراحة من معركة الإفطار والتماسك بالأيدي ، قال الرجل : أهلا وسهلا بالعراق وابناء العراق قلت

اهلا وسهلا يا سيدي لقد جئتك في كذا من أمري وأنا ابن عمك لحا، التقي معك في كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القيسي.

قال: على العين والرأس. ولكن الكتاب يكلف الشيء الفلاني وأنا وأنت لا نستطيع ذلك .قلت مستغربا: وكيف طبعت كتبك؟ قال: صدقني لقد بعت سيارتي وأنا من يومها أمشي على قدمي. واستدنت من عدد من الأخوة حتى ظهرت كتبي إلى النور. ولدي الان عشرة كتب مخطوطة حصل أكثر من واحد منها على الموافقات الأصولية ولكني لا أجد طريقا لطباعتها، واستدرك باصرار: ولكني سأجد ان شاء الله ذلك وتأملته في عناده واصراره وعزيمته القيسية المعروفة وقلت في نفسي: يشبه من هذا؟ هل هو عنترة، زهير بن جذيمة، عمرو بن هبيرة، عتبة بن غزوان. قتيبة بن مسلم؟! وتردد في ذهني صدر بيت لعروة بن الورد العبسي: اقسم جسمي في جسوم كثيرة ...تذكروا... ثمانية عشر ولدا وزوجتين وأب وأم. وينشر في العديد من الصحف. وهو يعمل ليل نهار يبحث ويكتب ويؤلف دون كلل أو ملل.

- انه الأستاذ أحمد موسى صالح الفسفوس، عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، كاتب وباحث في تاريخ وتراث القبائل العربية

سعدي عبد الرازق ال دفتر القيسي

عضو نادي جريدة الجمهورية العراقية ١٩٩٥/٢/٢٢م.

الفهرس

الموضوع — الصفحة

في رثاء الحسين العظيم ١

الباب الأول: الإهداء ٣

المقدمة ٤

الباب الثاني: ذكريات قرية سكا / دورا الخليل ٧

احترام الغريب ١٢

مدرسة الفوار ١٩٦٣م ١٢

في مدرسة دورا الثانوية ١٩٦٤م ١٢

في قرية أبي العسجا ١٣

الباب الثالث: العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م ١٥

رحلة المغامرة من عمان - إلى كرزا ١٥

في معهد المعلمين برام الله عام ١٩٦٧م ١٧

وصف موجز للطريق بين القدس والخليل ١٨

الباب الرابع: في السعودية وفي مدينة المذنب من أعمال منطقة القصيم بنجد ١٩٦٩م ١٩

في قصر البطاح قرب قصر بن إعقيل / بالقصيم بنجد ١٩٧٠م ٢١

في الأسياح بالقصيم بنجد ٧١م ٢٣

في بلدة دخنة في القصيم في نجد ١٩٧٣م ٢٥

في قرية عطي/ القصيم بنجد ١٩٧٢م ٢٦

الباب الخامس: في بيروت ١٩٧٤م ٣١

الباب السادس: الحلول في ليبيا ١٩٧٤م ٣٢

في مدينة درنا - ليبيا ١٩٧٥م ٣٣

في واحة غات الليبية ١٩٧٦م ٣٥

في بلدة البركت الليبية ١٩٧٦م ٣٧

في مدينة المرج الجديد / الجبل الأخضر ١٩٧٨م ٤٠

الباب السابع: في المملكة الأردنية الهاشمية ٤٣

في مخيم البقعة في الأردن ١٩٧٩م ٤٣

في وادي السير ١٩٨٠م ٤٣

في مدينة الزرقاء ٤٦

في مدينة إربد ٥٥

الباب الثامن: في سوريا ولبنان ومشاهدات منهما ٥٧

الباب التاسع: تنويه ورسائل ٦٠

الفهرس

الموضوع	الصفحة
في رثاء الحسين العظيم	١
الباب الأول: الإهداء	٣
المقدمة	٤
كلمة الأستاذ عبد الفتاح غطاشة	٥
الباب الثاني: ذكريات قرية سكا / دورا الخليل	٧
احترام الغريب	١٢
مدرسة الفوار ١٩٦٣م	١٢
في مدرسة دورا الثانوية ١٩٦٤م	١٢
في قرية أبي العسجا	١٣
في قرية كرزا	١٤
الباب الثالث: العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م	١٥
رحلة المغامرة من عمان – إلى كرزا	١٥
في معهد المعلمين برام الله عام ١٩٦٧م	١٧
وصف موجز للطريق بين القدس والخليل	١٨
الباب الرابع: في السعودية وفي مدينة المذنب من أعمال منطقة القصيم بنجد ١٩٦٩م	١٩
في قصر البطاح قرب قصر بن إعقيل / بالقصيم بنجد ١٩٧٠م	٢١
في الأسياح بالقصيم بنجد ٧١م	٢٣
في بلدة دخنة في القصيم في نجد ١٩٧٣م	٢٥
في قرية عطي/ القصيم بنجد ١٩٧٢م	٢٦
الباب الخامس: في بيروت ١٩٧٤م	٣١
الباب السادس: الحلول في ليبيا ١٩٧٤م	٣٢
في مدينة درنا – ليبيا ١٩٧٥م	٣٣
في واحة غات الليبية ١٩٧٦م	٣٥
في بلدة البركت الليبية ١٩٧٦م	٣٧
في مدينة المرج الجديدة / الجبل الأخضر ١٩٧٨م	٤٠
الباب السابع: في المملكة الأردنية الهاشمية	٤٣
في مخيم البقعة في الأردن ١٩٧٩م	٤٣
في وادي السير ١٩٨٠م	٤٣
في مدينة الزرقاء	٤٦
في مدينة إربد	٥٥
الباب الثمن: في سوريا ولبنان ومشاهدات منهما	٥٧
الباب التاسع: تنويه ورسائل	٦٠



من مؤلفاته

١. قبائل بني قيس ج١.

٢. قبائل بني قيس ج٢.

٣. جذور في التاريخ.

٤. قبائلنا ج١.

٥. قبائلنا ج٢.

٦. بلادنا سوق عكاظ أبدية.

٧. بين الحقيقة والخيال ج١.

٨. إحياء التراث العربي.

٩. من تراثنا العربي.

١٠. لقاءات وأفكار عن القبائل العربية.

١. مشاهدات.

المخطوطات:

١. بين الحقيقة والخيال ج٢.

٢. مما ورثنا.

٣. اخترت لك.

٤. مقارنة بين العامية والفصحى

٥. قصص تمثيلية اجتماعية.

المؤلف: أحمد موسى صالح الفسفوس.

عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

مواليد: النويبدة قضاء دورا الخليل.

يحمل: دبلوم معلمين رام الله ١٩٦٧م.

سعر النسخة الواحدة [ديناران] فقط.